وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة زيان عاشور الجلفة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ والأثار

ابراهيم بن يعقوب الاسرائيلي الطرطوشي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: الغرب الاسلامي

إعداد الطالب:
- الحاج قرزو

إشراف الدكتور:
د/ برق الأغويني

الموسم الجامعي:1446-1447هـ/ 2025-2026م

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة زيان عاشور الجلفة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ والأثار

ابراهيم بن يعقوب الاسرائيلي الطرطوشي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: الغرب الاسلامي

أعضاء لجنة المناقشة:

د/	**رئـــــيســـــــا**
د/	**مشـــــرفـا ومقررا**
د/	**عضـــوا ممتحنـا**

الموسم الجامعي:1446-1447هـ/ 2025-2026م

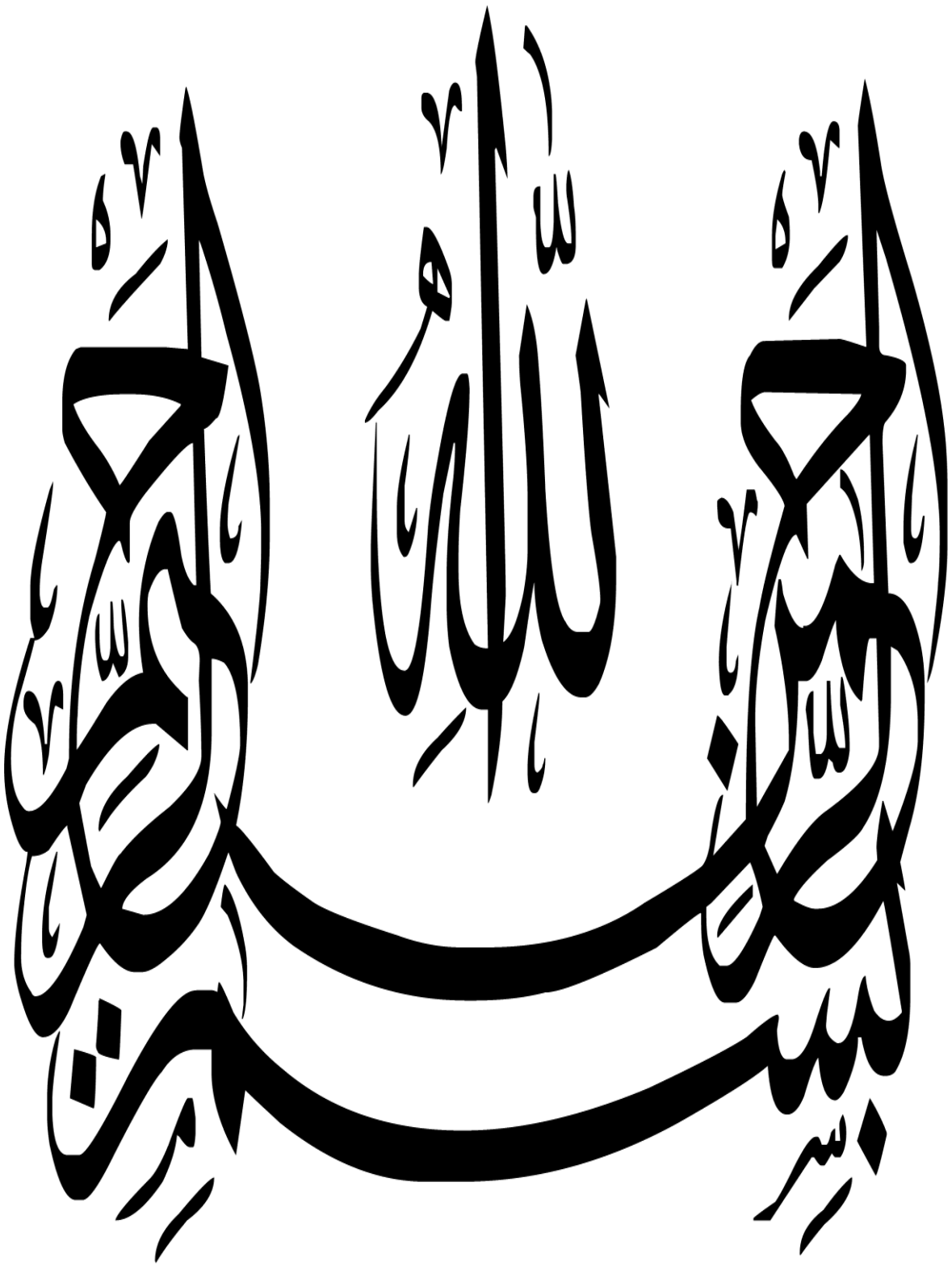
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد لله والشكر لله سبحانه وتعالى منحني القدرة في
بدء هذا العمل والقدرة على إنهائه.
ان كان ثمة شكر وعرفان بعد شكر المولى عز وجل
فهو للذي أضاء لي طريقي، فأنارت خبرته كل جوانب عملي
والذي بفضل خبرته أولا وجهده ثانيا وأرشادته ثالثا لما استطعت أن
نذهب على أكمل وجه فجزاه الله عنا خيرا
أستاذنا الفاضل الدكتور

الإهداء

باسم الخالق الذي أضاء الكون بنوره الإلهي وحده أعبده وحده، له المجد خاشعا شاكرا لنعمه وفضله على في تمام هذا الجهد

إلى صاحب الفردوس الأعلى وسراج الأمة المنير وشفيعها النذير البشير محمد صلى الله عليه وسلم فخرا واعتزازا.

إلى من سهر الليالي ونسي القوافي وظل سندي الموال وحمل همي غير مبالي والدي العزيز حفظه الله

إلى من أثقلت الجفون سهرا وحملت الفؤاد هما وجاهدت الأيام صبرا وشغلت البال فكرا ورفعت الأيادي دعاء وأيقنت بالله أملا أغلى الغوالي وأحب الأحباب أمي الغالية .

الى من عليهم اعتمدت واكتسبت بوجودهم قوة

اخوتي واخواتي:

إلى كل العائلة وأصدقائي

إلى كل من في قلبي ونسي قلبي أن يكتبه

مقدمة

في القرن الرابع الهجري حين كانت الأندلس في أوج ازدهارها العلمي والحضاري خرج من مدينة طرطوشة رجل سيترك بصمته في تاريخ الجغرافيا والرحلات هو إبراهيم بن يعقوب الطرطوشي لم يكن مجرد مسافر يعبر البلدان، بل كان شاهدًا على عوالم بعيدة ونقطة وصل بين حضارتين الإسلامية في الأندلس والمسيحية في أوروبا التي كانت آنذاك غامضة في نظر الكثيرين.

نشأ الطرطوشي في بيئة أندلسية منفتحة حيث كانت التجارة مزدهرة والعلم منتشرًا والاتصال بالعالم الخارجي قائمًا، ويبدو أن تكوينه الثقافي ومعرفته باللغات وفضوله المعرفي دفعته إلى خوض تجربة الرحلة، لا بدافع المغامرة وحدها بل بدافع الفهم والاستكشاف، وفي زمن كان فيه الانتقال بين البلدان محفوفًا بالمخاطر قرر أن يتجه شمالًا نحو أوروبا التي لم تكن معروفة إلا بأخبار متفرقة.

كانت رحلته في جوهرها رحلة معرفة فقد جاب بلادًا متعددة من إيطاليا إلى ألمانيا ومن بلاد السلاف إلى فرنسا، وسجّل ما رآه بعين دقيقة لا تكتفي بالوصف بل تحاول الفهم، لم يكن ينقل فقط ما يشاهده بل ما يسمعه أيضًا، ومع ذلك كان يُدرك الفرق بين الخبر والمعاينة، فيُشير أحيانًا إلى حدود معرفته وهو ما يكشف عن وعي نقدي مبكر.

وفي أثناء رحلته لم يقتصر دوره على الملاحظة بل وجد نفسه في تماس مباشر مع مراكز السلطة في أوروبا، فقد وصل إلى روما والتقى بالبابا يوحنا الثاني عشر ثم انتقل إلى ألمانيا حيث قابل الإمبراطور أوتو الأول هذه اللقاءات لم تكن مجرد أحداث عابرة، بل تعكس مكانته وقدرته على الوصول إلى دوائر الحكم سواء بصفته رحالة مثقفًا أو وسيطًا غير رسمي بين العوالم.

ومع ذلك فإن أعظم ما يميز الطرطوشي ليس هذه اللقاءات بل ما خلّفه من معرفة فقد وصف المدن، والطرق، والأنهار، والغابات، وتحدث عن التجارة والأسعار، وعن عادات الناس وأنماط حياتهم، حيث كانت كتاباته أقرب إلى رسم خريطة حيّة لعالم لم يكن معروفًا في المصادر العربية فصار بذلك من أوائل من كشفوا ملامح أوروبا الوسطى والشرقية.

ورغم أن نص رحلته الأصلي ضاع فإن صدى عمله بقي محفوظًا في كتب الجغرافيين الذين نقلوا عنه مثل البكري والعذري والحميري، ومن خلال هذه الشذرات استطاع الباحثون أن يعيدوا بناء صورة رحلته، وأن يدركوا قيمتها بوصفها شهادة فريدة من زمن مبكر.

وهكذا يظهر الطرطوشي في صورة رحّالة يتجاوز حدود الجغرافيا، ليصبح شاهدًا على تلاقي الحضارات، لم يكن مجرد ناقل أخبار بل كان عينه التي رأت وعقله الذي فسّر وقلمه الذي حفظ، فاستحق أن يكون أحد أبرز الأصوات التي نقلت صورة أوروبا إلى العالم الإسلامي في العصور الوسطى.

الإشكالية:

تُثير دراسة رحلة إبراهيم الطرطوشي إشكالية علمية مركبة، تتعلق بطبيعة رحلته وحدود دوره، ومدى دقة الروايات التي نقلت أخباره فالنص الأصلي لرحلته مفقود وما وصلنا منها ليس إلا مقتطفات متفرقة حفظها جغرافيون لاحقون، مثل البكري والعذري والحميري وهو ما يجعل إعادة بناء مسار رحلته ونشاطه – خاصة الدبلوماسي – مسألة تخضع للتأويل والترجيح أكثر من اليقين.

وانطلاقا مما سبق نذكر الإشكاليات الآتية:

– هل كان إبراهيم الطرطوشي مبعوثًا دبلوماسيًا رسميًا أم مجرد رحّالة مثقف أُتيحت له فرص لقاء الحكّام بحكم مكانته ومعرفته؟

الاسئلة الفرعية:

ومن خلال ما سبق تبادرت الى ذهننا بعض الاشكاليات:

– كيف يمكن التوفيق بين اختلاف الروايات في تحديد مكان هذه اللقاءات، بين روما وألمانيا وبين التواريخ المتباينة التي تذكرها المصادر؟

– إلى أي مدى يمكن الاعتماد على النصوص المنقولة عن الطرطوشي وهي نصوص مجتزأة ومتأخرة زمنيًا في إعادة بناء رحلته ومسارها؟

– هل كانت رحلة الطرطوشي رحلة واحدة متصلة، أم أنها تعددت وتوزعت على مراحل زمنية مختلفة؟

أسباب اختيار الموضوع:

يندرج اختيار موضوع إبراهيم الطرطوشي ورحلته ضمن جملة من الدوافع التي يمكن تقسيمها إلى أسباب ذاتية وأخرى موضوعية:

أولًا: الأسباب الذاتية

يرتبط هذا الاختيار برغبة شخصية في التعمّق في مجال الرحلات والجغرافيا التاريخية، لما يحمله من متعة معرفية واكتشاف لعوالم مختلفة، كما أن الاهتمام بتاريخ الأندلس ودورها الحضاري في التواصل مع أوروبا شكّل دافعًا قويًا للبحث في شخصية الطرطوشي، بوصفه نموذجًا مميزًا لرحّالة أندلسي تجاوز حدود بيئته الجغرافية والثقافية.

إضافة إلى ذلك فإن الفضول العلمي لفهم صورة "الآخر" الأوروبي في المصادر العربية، وكيف كان يُنظر إليه ويُوصف، كان من بين المحفزات الأساسية لاختيار هذا الموضوع.

ثانيًا: الأسباب الموضوعية

تتمثل في الأهمية العلمية والتاريخية لرحلة الطرطوشي، إذ تُعد من أقدم المصادر العربية التي تناولت أوروبا الوسطى والشرقية في العصور الوسطى، كما أن ندرة الدراسات المفصلة حول هذه الرحلة مقارنة بأهميتها تجعلها موضوعًا جديرًا بالبحث والتحليل.

كذلك فإن الإشكالات المرتبطة بالرحلة – مثل طبيعة نشاط الطرطوشي وعدد لقاءاته ومسار رحلته – تفتح المجال أمام الدراسة النقدية والمقارنة بين المصادر، وهو ما يضفي على الموضوع بعدًا علميًا تحليليًا.

وأخيرًا يكتسب الموضوع أهميته من كونه يسلّط الضوء على جانب من التفاعل الحضاري بين العالم الإسلامي وأوروبا، في فترة تاريخية مبكرة مما يساهم في فهم أعمق للعلاقات بين الحضارات.

أهمية الدراسة:

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من عدة جوانب علمية وتاريخية وحضارية، يمكن إبرازها فيما يلي:

أولًا تُسهم في إحياء شخصية تاريخية مهمة هو إبراهيم الطرطوشي الذي يُعدّ من أوائل الرحالة العرب الذين قدّموا وصفًا لأوروبا الوسطى والشرقية في فترة مبكرة، كانت فيها هذه المناطق شبه مجهولة في المصادر العربية.

ثانيًا تبرز قيمة رحلته بوصفها مصدرًا جغرافيًا وتاريخيًا نادرًا يقدّم معطيات عن المدن، والطرق، والاقتصاد، والعادات الاجتماعية، وأنظمة الحكم، مما يساعد في إعادة بناء صورة تلك المجتمعات في العصور الوسطى.

ثالثًا تكشف الدراسة عن طبيعة العلاقات بين الأندلس وأوروبا، سواء على المستوى الدبلوماسي أو التجاري أو الثقافي، وهو ما يساهم في فهم أعمق للتفاعل الحضاري بين العالم الإسلامي والغرب في تلك المرحلة.

رابعًا تُعالج الدراسة مجموعة من الإشكاليات العلمية، مثل تحديد طبيعة نشاط الطرطوشي، ومسار رحلته وعدد لقاءاته مع الحكام وهو ما يعزز المنهج النقدي في التعامل مع المصادر التاريخية.

خامسًا تساهم في إبراز دور الرحلة كوسيلة للمعرفة في الحضارة الإسلامية، حيث لم تكن مجرد تنقل جغرافي، بل أداة لفهم الشعوب وتوثيق أحوالها.

خطة الدراسة:

تتوزع هذه الدراسة على خطة منهجية متكاملة تبدأ بـ مقدمة تمهيدية تطرح الإشكالية العامة وتبرز أهمية الموضوع وأسباب اختياره، يعقبها تمهيد يضع القارئ في السياق التاريخي العام للرحلات الأندلسية إلى أوروبا.

ثم يأتي الفصل الأول المعنون بـ *إبراهيم بن يعقوب الطرطوشي: السيرة والرحلة*، حيث يتناول في المبحث الأول التعريف بالطرطوشي من خلال مطلبين: الأول حول اسمه ونسبه، والثاني حول نشأته وموطنه، بينما يخصص المبحث الثاني لدراسة رحلته الكبرى من حيث الإطار الزمني والمسار الجغرافي في المطلب الأول، وقيمة وأهمية الرحلة في المطلب الثاني.

أما الفصل الثاني فيعالج *الدور الدبلوماسي والنتائج السياسية لرحلة الطرطوشي*، إذ يتناول المبحث الأول النشاط الدبلوماسي من خلال تحديد طبيعته في المطلب الأول، وبيان مصادر معلوماته في المطلب الثاني، في حين يركز المبحث الثاني على لقاءات الطرطوشي ومقابلاته، عبر التعريف بالشخصيات التي قابلها في المطلب الأول، وتحديد أماكن وتواريخ هذه اللقاءات في المطلب الثاني، وتختتم الدراسة بـ خاتمة تُعرض فيها أهم النتائج التي تم التوصل إليها.

تم الاعتماد على مجموعة من المصادر والمراجع التاريخية والجغرافية المهمة، والاستفادة منها في جمع المعلومات وتحليلها، ومن أبرزها مؤلفات البكري والعذري والحميري، إضافة إلى الدراسات الحديثة لعبد الرحمن الحجي حول العلاقات الدبلوماسية الأندلسية مع أوروبا الغربية.

صعوبات الدراسة:

تواجه هذه الدراسة جملة من الصعوبات التي تعيق الوصول إلى نتائج قطعية، ومن أبرزها:

أولًا قلة المراجع والمصادر إذ إن النص الأصلي لرحلة إبراهيم الطرطوشي مفقود، وما وصلنا عنه ليس إلا مقتطفات متناثرة نقلها جغرافيون لاحقون، مثل البكري والعذري والحميري، وهذا النقص يجعل الباحث يعتمد على نصوص غير مباشرة، قد تكون تعرّضت للاختصار أو التحريف.

ثانيًا تشابه الأسماء وتعدد دلالاتها سواء في أسماء الأشخاص أو الأماكن مثل اسم الطرطوشي الفقيه والطرطوشي الرحالة واسم "أوتو" الذي حمله أكثر من حاكم ألماني، أو مصطلح "ملك الروم" الذي استُخدم للإشارة إلى جهات مختلفة (البابا، الإمبراطور، أو غيرهما). وهذا التشابه يخلق لبسًا في تحديد الهوية الدقيقة للشخصيات والأماكن.

ثالثًا تضارب الروايات واختلاف التواريخ حيث نجد تباينًا واضحًا بين المصادر في تحديد زمن اللقاءات ومواقعها مما يصعّب إعادة بناء تسلسل زمني دقيق للرحلة.

رابعًا غياب التفاصيل الدقيقة حول مسار الرحلة مثل تواريخ الانطلاق والعودة ومدد الإقامة في البلدان، وهو ما يجعل تتبع خط الرحلة قائمًا على الاجتهاد والترجيح.

وأخيرًا طبيعة النصوص المنقولة التي غالبًا ما تكون مجتزأة أو منقولة بالمعنى مما يفرض على الباحث اعتماد منهج نقدي حذر في التعامل معها، والموازنة بين الروايات المختفة.

الفصل الاول:

إبراهيم بن يعقوب الطرطوشي

السيرة والرحلة

تمهيد:

شهدت الأندلس في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي ازدهارًا علميًا وحضاريًا جعلها مركزًا للتواصل مع مختلف أقاليم العالم، ولم يقتصر هذا التواصل على المشرق الإسلامي، بل امتد إلى أوروبا التي كانت آنذاك مجالًا مجهولًا نسبيًا في المصادر العربية، وفي هذا السياق برزت الرحلات الأندلسية كوسيلة لاكتشاف تلك البلاد والتعرّف على أوضاعها، سواء بدوافع علمية أو سياسية أو تجارية، ويأتي إبراهيم بن يعقوب الطرطوشي في مقدمة هؤلاء الرحالة حيث مثّلت رحلته نموذجًا فريدًا جمع بين الاستكشاف الجغرافي والتواصل الحضاري ووفّرت مادة معرفية مهمة عن أوروبا الوسطى والشرقية، في مرحلة مبكرة من تاريخها.

المبحث الأول :التعريف بالطرطوشي

في زمنٍ كانت فيه أوروبا لا تزال غامضة في نظر الكثير من الجغرافيين المسلمين، برز إبراهيم بن يعقوب الطرطوشي كرحّالة أندلسي حمل فضوله ومعرفته ليعبر حدود المألوف، خرج من طرطوشة تلك المدينة المزدهرة على أطراف العالم الإسلامي، ليخوض رحلة طويلة في بلاد لم تكن معروفة إلا بأخبار متفرقة لم يكن مجرد مسافر، بل كان شاهدًا دقيقًا يسجل ما يراه وما يسمعه مستندًا إلى ثقافة واسعة وقدرة على التواصل مع شعوب متعددة، ومن خلال رحلته ترك لنا صورة حيّة عن أوروبا في مرحلة مبكرة من تاريخها صورة نقلها لاحقًا الجغرافيون فصار اسمه مرتبطًا بأحد أهم الجهود المعرفية التي ربطت بين الأندلس والعالم الأوروبي.

المطلب الاول: الاسم، النسب:

يُعد إبراهيم بن يعقوب الطرطوشي من الرحالة والجغرافيين الذين عاشوا في القرن العاشر الميلادي، وقد ارتبط اسمه بوصف عدد من مناطق أوروبا والعالم الإسلامي في تلك الفترة، وُلد في مدينة طرطوشة بالأندلس وهي مدينة تقع في شرق شبه الجزيرة الإيبيرية وكانت آنذاك جزءًا من بلاد الأندلس، وقد نشأ في بيئة علمية وثقافية نشطة، حيث كانت الأندلس مركزًا مهمًا للعلم والتجارة والتواصل الحضاري بين العالم الإسلامي وأوروبا.[1]

يُعَدّ اسم الطرطوشي من المسائل التي أثارت نقاشًا بين الباحثين والمؤرخين بسبب وروده بصيغ مختلفة في المصادر التاريخية، الأمر الذي أدى إلى ظهور عدة آراء حول اسمه الكامل وأصوله. ومن بين هذه الصيغ ما يلي[2]:

[1] عبد الرحمان الحجي، العلاقات الدبلوماسية الاندلسية مع اوربا الغربية خلال المدة الاموية، المجمع الثقافي ، ابو ظبي، 2004، ص 299.

[2] فتحي رضوان، الرحالة الأندلسي الطرطوشي، مجلة الاداب، العدد 20، العراق، 1976، ص 88.

1- الصيغة الأولى: إبراهيم بن أحمد الطرطوشي

تُعد هذه الصيغة من أشهر الصيغ التي ورد بها اسم الطرطوشي، وقد ذكرها المؤرخ القزويني (ت 682هـ / 1283م)، ويُعد من المؤرخين القلائل الذين استعملوا هذه الصيغة صراحة، ويرجح أن القزويني نقلها عن الجغرافي الأندلسي العذري إلا أن هذا الأخير لم يذكرها في النصوص المتبقية من مؤلفاته الجغرافية التي وصلت إلينا، مما جعل هذه الصيغة محل نقاش بين الباحثين[1].

وانطلاقًا من هذه التسمية طرح بعض الدارسين احتمال أن يكون الطرطوشي مسلمًا من أصل يهودي أو منحدرًا من أسرة يهودية اعتنق أحد أفرادها الإسلام، ويستند هذا الافتراض إلى عدد من المؤشرات التاريخية من أبرزها:

أ- دلالة اسم "أحمد" في نسبه:

يرى بعض الباحثين أن وجود اسم "**أحمد** "في نسب الطرطوشي قد يشير إلى أن أحد أسلافه كان يهوديًا ثم اعتنق الإسلام، إذ إن اسم أحمد يُعد من الأسماء المرتبطة بالثقافة الإسلامية ويحمله المسلمون عادة، وقد يكون هذا الاسم قد اتخذه أحد أفراد الأسرة بعد اعتناقه الإسلام، في إطار التحول الديني والاجتماعي الذي كان يحدث في بعض المجتمعات الأندلسية آنذاك، كما ان اسم أحمد هذا لا وجود له في رواية الحميري [2].

ومع ذلك لا يمكن الجزم بهذا التفسير بشكل قاطع إذ من الممكن أيضًا أن يكون "أحمد" هو اسم والد الطرطوشي فقط دون أن يدل بالضرورة على أصل ديني مختلف. وفي هذه الحالة قد يكون الطرطوشي قد احتفظ باسمه الشخصي "إبراهيم "

[1] عبد الرحمان الحجي، مرجع سابق، ص 300.

[2] اغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، تعرب: عثمان هاشم، لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1957، ص 192.

الذي كان شائعًا بين المسلمين وغيرهم من أهل الديانات السماوية، وهو اسم ذو جذور دينية مشتركة بين الإسلام واليهودية والمسيحية[1].

من المعروف أن اسم إبراهيم كان شائعًا بين المسلمين والنصارى واليهود على حد سواء لكونه اسمًا ذا أصل ديني مشترك بين الديانات السماوية غير أن تبني اسم "أحمد "في النسب قد يحمل دلالة إسلامية واضحة، إذ يُعد هذا الاسم من الأسماء التي ارتبطت تقليديًا بالثقافة الإسلامية، ولذلك يُحتمل أن الطرطوشي أو أحد أسلافه قد تبنى اسم "أحمد "بدلًا من اسم "يعقوب "الذي يحمل طابعًا يهوديًا واضحًا، وهو ما قد يعكس تحولًا دينيًا أو اندماجًا اجتماعيًا في البيئة الإسلامية.

ومن هذا المنطلق قد يكون من الطبيعي أن يُعرف الطرطوشي باسم "ابن أحمد " وفقًا للعادات السائدة في ذلك العصر، حيث كان من الشائع التعريف بالأشخاص عن طريق أسماء آبائهم بدلًا من النسبة أو اللقب، وقد اتبع هذا الأسلوب عدد من العلماء والمؤرخين، مثل ابن حيان وغيره من أعلام الأندلس الذين عُرفوا بأسماء آبائهم أو بكُناهم. وبناءً على ذلك قد يكون الطرطوشي قد عُرف في بعض المصادر باسم "ابن أحمد "أو "ابن أحمد الطرطوشي"، كما ورد في رواية القزويني بدلًا من تسميات أخرى مثل "ابن يعقوب الإسرائيلي[2]."

أما من جهة أخرى فإن القزويني يُعد من الجغرافيين المتأخرين نسبيًا مقارنة ببعض المؤرخين الذين سبقوه وهو ما قد يعني أنه كان يمتلك مصادر أو معلومات لم تصل إلى من قبله أو لم تُحفظ في المصادر التي وصلت إلينا، ومن المحتمل أن هذه المعلومات كانت تتضمن إشارات إلى اعتناق الطرطوشي للإسلام أو إلى خلفيته الدينية. ويعزز هذا الاحتمال أن القزويني لم يذكر صفة "الإسرائيلي "في الصيغة التي أورد بها

[1] عبد الرحمان الحجي، مرجع سابق، ص 301.

[2] مؤنس حسين، تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1967، ص.76

اسمه، الأمر الذي قد يدل على أنه لم يعتبره ذا أصل يهودي، أو أنه اعتمد مصادر مختلفة في تحديد نسبه[1].

ومن زاوية أخرى يُلاحظ أن الرحالة والكتاب اليهود تناولوا بالتفصيل مملكة الخزر اليهودية وهي الدولة التي اعتنق حكامها اليهودية في العصور الوسطى وقد حظيت باهتمام عدد من الشخصيات اليهودية البارزة، مثل حسداي بن شبروط الذي سعى إلى معرفة أخبارها والتواصل معها، كما أن الرحالة اليهودي بنيامين التطيلي في رحلته الشهيرة التي قام بها بين سنتي 1161و1171م، كان يحرص على جمع المعلومات المتعلقة بالجماعات اليهودية في المدن والأقاليم التي زارها[2].

وعلى خلاف ذلك فإن الطرطوشي في رحلاته ووصفه للأقاليم التي مرّ بها ركز أساسًا على الجوانب الجغرافية والاجتماعية والعمرانية دون أن يتوسع في الحديث عن الجماعات الدينية وخاصة اليهود، وعلى الرغم من احتمال أنه قد سمع عن مملكة الخزر أو مرّ بمناطق قريبة منها خلال رحلاته، فإنه لم يذكر هذه الدولة اليهودية القائمة آنذاك ولم يتحدث بشكل واضح عن اليهود سواء في بلاد الخزر أو في غيرها من المناطق التي زارها[3].

ويبدو من خلال هذا الصمت النسبي أن اليهود كانوا من بين الفئات التي لم تحظَ باهتمام كبير في كتاباته إذ لم يقدم عنهم معلومات تُذكر مقارنة بما أورده عن الشعوب والمجتمعات الأخرى، وقد يكون ذلك راجعًا إلى طبيعة اهتماماته الجغرافية أو إلى منهجه في الوصف، أو ربما إلى اعتبارات أخرى تتعلق بالسياق الثقافي والديني الذي كان يكتب في إطاره.

---

[1] عبد الرحمان الحجي، مرجع سابق، ص 302.

[2] القبس الكويتية، الرحّالة إبراهيم بن يعقوب.. التشيك تفاخروا به والعرب أغفلوه .. " ، على الموقع https://www.alqabas.com/

[3] عبد الرحمان الحجي، مرجع سابق، ص 302.

إنّ مجموع هذه المعطيات على الرغم من أنه لا يقدم دليلًا قاطعًا يدعم الفرضية التي يتبناها بعض الباحثين ومفادها أن الطرطوشي قد يكون مسلمًا مهما كان أصله العرقي أو الديني في البداية، إذ من الممكن أن يكون قد اعتنق الإسلام أو نشأ في بيئة إسلامية.[1]

ومع ذلك فقد أُثيرت عدة اعتراضات تشكك في كونه مسلمًا، ومن أهمها ما يأتي:

أ- وجود كلمة "الإسرائيلي" في اسمه:

يرى بعض الباحثين أن ورود لقب الإسرائيلي في اسم إبراهيم بن يعقوب الطرطوشي قد يدل على انتمائه إلى أصل يهودي غير أن هذا الاستدلال لا يُعد دليلًا قاطعًا على بقاء صاحبه على الديانة اليهودية، إذ إن الاحتفاظ بالألقاب ذات الدلالة الدينية أو العرقية كان أمرًا شائعًا في المجتمعات الإسلامية في العصور الوسطى، فكثيرًا ما احتفظ الأفراد بألقابهم العائلية حتى بعد حدوث تحول ديني أو اندماج اجتماعي في البيئة الإسلامية.[2]

وقد عُرفت في التاريخ حالات مشابهة تؤكد هذا الأمر حيث استمر بعض الأشخاص في استعمال ألقابهم القديمة رغم تغير ديانتهم، ومن الأمثلة على ذلك الشاعر الأندلسي إبراهيم بن سهل الإسرائيلي (ت 649هـ / 1251م)، الذي احتفظ بلقب "الإسرائيلي "في اسمه حتى بعد اعتناقه الإسلام، ويُظهر هذا المثال أن استمرار استعمال مثل هذه الألقاب لا يعني بالضرورة استمرار الانتماء الديني السابق بل قد يكون مرتبطًا بعوامل اجتماعية أو تقليدية أو حتى أدبية إذ كانت الألقاب والنِّسَب جزءًا من الهوية العائلية والثقافية التي قد تبقى ملازمة للشخص رغم تغير معتقده الديني[3].

[1] مؤنس حسين، تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس، مرجع سابق ، ص 80.

[2] عبد الرحمان الحجي، مصدر سابق، ص 304.

[3] فتحي رضوان، مرجع سابق، ص 90.

ب- عدم وجود نص صريح يذكر اعتناقه الإسلام:

ومن الاعتراضات التي أثيرت كذلك بشأن أصل إبراهيم بن يعقوب الطرطوشي أن المصادر التاريخية لم تذكر صراحة اعتناقه للإسلام إذ لم يورد المؤرخون نصًا واضحًا يشير إلى حدوث هذا التحول الديني، ويلاحظ أن بعض المؤرخين ومنهم القزويني لم يتطرقوا بشكل مباشر إلى مسألة إسلامه أو ديانته، الأمر الذي دفع بعض الباحثين إلى التشكيك في كونه مسلمًا في الأصل.

ومن جهة أخرى ذهب بعض الدارسين إلى احتمال أن يكون اسم "أحمد "الذي ورد في بعض الروايات المتعلقة باسمه ناتجًا عن خطأ في النقل أو تحريف وقع أثناء نسخ المخطوطات أو تدوين النصوص عبر العصور، فالمصادر التاريخية القديمة كثيرًا ما تعرضت لمثل هذه التغييرات نتيجة تعدد النسخ واختلاف القراءات بين النساخ والمحققين[1].

وبسبب هذا الاختلاف في الروايات ظهرت عدة صيغ لاسم الطرطوشي في المصادر التاريخية، من أبرزها ما يلي:

-الصيغة الأولى: إبراهيم بن أحمد الطرطوشي

وهي الصيغة التي أوردها القزويني في كتاباته الجغرافية وقد سبقت الإشارة إليها ضمن الصيغ المختلفة التي ورد بها اسم الطرطوشي في المصادر التاريخية[2].

ومن الباحثين من استبعد أن يكون إبراهيم بن يعقوب أندلسيا وغلب على رأيهم أنه من المغرب، ولكن العذري يسميه الطرطوشي وقد أورد له العذري قطعة تدل على أنه كان بالفعل أندلسيا عارفا بشؤون الأندلس، والقطعة التي أوردها البكري من رسالة إبراهيم بن يعقوب الطرطوشي تصف رحلته إلى شرق أوروبا وكيف عبر البحر الإدرياني،

[1] ابو عبيدعبد الله البكري الاندلسي، المسالك والممالك، دار اللغرب لااسلامي، 1992، ص 915

[2] مؤنس حسين، تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس، مرجع سابق، ص 82.

ووصل إلى بلاد صقالبة الغرب وزابراج وشرقي ألمانيا فيما عدا الفقرات التي أوردها عبد المنعم الحميري.[1]

ويرى بعض الباحثين أن هذه الصيغة قد تكون الأقرب إلى اسمه الحقيقي أو على الأقل الاسم الذي اشتهر به في بعض الأوساط العلمية والجغرافية في عصره، كما يُحتمل أن القزويني قد اعتمد في ذكره لهذه الصيغة على مصادر أو روايات لم تصل إلينا، الأمر الذي قد يفسر اختلافها عن بعض الصيغ الأخرى التي وردت في مؤلفات الجغرافيين والمؤرخين الأندلسيين، ولذلك يولي عدد من الدارسين أهمية خاصة لهذه الرواية عند محاولة تحديد الاسم الصحيح للطرطوشي أو التحقق من نسبه وأصله.

- الصيغة الثانية: إبراهيم بن يوسف الطرطوشي

وقد وردت هذه الصيغة كذلك في كتابات الحميري ضمن مؤلفاته الجغرافية، حيث أشار إلى اسم الطرطوشي بصيغة قريبة من الروايات السابقة، كما ظهرت صيغة مشابهة لها في الدراسات الاستشراقية الحديثة، ولا سيما عند المستشرق ليفي بروفنسال في ترجمته لبعض النصوص الأندلسية، إذ ذكره باسم إبراهيم بن يحيى بدلًا من إبراهيم بن يعقوب، ويعكس هذا الاختلاف في التسمية طبيعة التباين الذي كثيرًا ما يظهر في نقل الأسماء في المصادر التاريخية خاصة عندما تتعدد المخطوطات أو تختلف الروايات التي يعتمد عليها المؤلفون[2].

ويرجع هذا التباين في الغالب إلى عوامل عدة من بينها أخطاء النسخ التي قد تقع أثناء نقل المخطوطات أو اختلاف القراءة بين المحققين والمترجمين، فضلًا عن احتمال اعتماد بعض الباحثين على نسخ مختلفة من النصوص الأصلية، ولذلك فإن

---

[1] آمنة سليمان البدوي، الرحالة الاندلسيون والمغاربة ورحلاتهم من القرن 3هـ الى 9هـ تقص وعرض، مجلة دراسات، العلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد 41، العدد 02، 2014، ص 400.

[2] الحميري أبو عبدالله محمد بن عبدالله، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1974، ص.512.

اختلاف اسم الأب بين يعقوب ويحيى في بعض الروايات لا يعد أمرًا نادرًا في الدراسات التاريخية، بل يعكس طبيعة العمل على النصوص القديمة وما قد يطرأ عليها من تحريف أو تغيير عبر مراحل النسخ والترجمة.[1]

- الصيغة الثالثة: إبراهيم بن يعقوب الإسرائيلي

وتُعد هذه الصيغة من الصيغ التي ذكرها الجغرافي الأندلسي أبو عبيد البكري عند حديثه عن إبراهيم بن يعقوب الطرطوشي، وقد اعتمد عليها عدد من الباحثين في دراسة أصل الطرطوشي وهويته، وتكمن أهمية هذه الصيغة في أنها تتضمن لقب الإسرائيلي، وهو لقب قد يشير إلى انتمائه إلى أسرة يهودية أو إلى جذور يهودية في نسبه.

ومع ذلك فإن الاستناد إلى هذا اللقب وحده لا يكفي للجزم بأصله الديني أو العرقي بشكل قاطع إذ إن استعمال مثل هذه الألقاب كان شائعًا في المصادر التاريخية، وقد يرتبط بالأصل العائلي أو الجغرافي أكثر من ارتباطه بالانتماء الديني الفعلي، لذلك يرى بعض الباحثين أن هذه الصيغة تمثل مجرد مؤشر محتمل على أصل الطرطوشي، دون أن تشكل دليلًا نهائيًا على ديانته أو هويته الثقافية.

الصيغة الرابعة: إبراهيم بن يعقوب الإسرائيلي الطرطوشي

تُعد هذه الصيغة من أكثر الصيغ اكتمالًا التي ورد بها اسم الطرطوشي في المصادر التاريخية، إذ تجمع بين اسمه الشخصي واسم أبيه ولقبه العرقي إضافة إلى نسبته الجغرافية. وقد أورد هذه الصيغة كلٌّ من العذري والبكري في كتاباتهما الجغرافية، وهما من أقدم الجغرافيين الأندلسيين الذين نقلوا أخبار الرحالة ووصفوا الأقاليم التي زاروها أو وصلتهم أخبارها.[2]

[1] عبد الرحمان الحجي، مصدر سابق، ص 305.

[2] اغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي، مرجع سابق، ص 195.

وتتميّز هذه الصيغة بكونها الأطول بين الصيغ المختلفة التي ورد بها اسم الطرطوشي، كما أنها تُعد من أقدم الروايات التي حفظتها المصادر الأمر الذي يمنحها أهمية خاصة عند الباحثين الذين يسعون إلى تحديد الاسم الحقيقي للرحالة ونسبه، فذكر لقب "الإسرائيلي "فيها قد يُفهم منه أن الطرطوشي كان منحدرًا من أصل يهودي، أو من أسرة يهودية عاشت في الأندلس ثم ارتبطت بالبيئة الإسلامية والثقافية السائدة في ذلك العصر.[1]

كما أن إضافة النسبة "الطرطوشي "تشير بوضوح إلى انتمائه إلى مدينة طرطوشة بالأندلس، وهي مدينة معروفة في شرق الأندلس وكانت آنذاك مركزًا حضريًا مهمًا شهد تفاعلًا ثقافيًا ودينيًا بين المسلمين واليهود والنصارى، ومن ثم فإن الجمع بين لقب "الإسرائيلي "والنسبة "الطرطوشي "قد يعكس هذا التنوع الاجتماعي والديني الذي ميّز المجتمع الأندلسي في تلك الفترة[2].

وعلى الرغم من أن هذه الصيغة تُعد من أقدم الصيغ وأطولها فإنها لا تحسم بشكل نهائي مسألة الأصل الديني للطرطوشي، لأن الألقاب العرقية أو الدينية قد تبقى ملازمة للشخص أو لأسرته حتى بعد حدوث تحول ديني أو اندماج ثقافي داخل المجتمع الإسلامي، ولذلك ظل موضوع أصل الطرطوشي ونسبه محل نقاش بين المؤرخين والباحثين، خاصة في ظل تعدد الروايات واختلاف الصيغ التي ورد بها اسمه في المصادر التاريخية.

[1] مؤنس حسين، مرجع سابق، ص 80.

[2] نفسه، ص 81.

المطلب الثاني: نشأته وموطنه

يوجد جدل حول الأصل الجغرافي لإبراهيم الطرطوشي إذ ذهب بعض الباحثين إلى القول بأنه قد يكون من شماء إفريقيا، أو حتى من صقلية، غير أن هذا الافتراض يبدو مستبعدًا إذ لا توجد أي دلائل تاريخية أو جغرافية تدعمه، كما أنه لا توجد مدينة باسم طرطوشة (Torlosa) في المغرب أو في صقلية.[1]

وقد ذُكر أيضًا أن هناك شخصين لهما أسماء متقاربة: أحدهما من شمال إفريقيا، والآخر من الأندلس وإذا لم نأخذ بنظرية الشمال الإفريقية أو صقلية، فإن الاستنتاج الأكثر منطقية هو أن الطرطوشي من أصل أندلسي، وبالتحديد من مدينة طرطوشة كما يشير نسبه "الطرطوشي"، وهو ما يتوافق مع العادة المتبعة في تسمية الأشخاص نسبةً إلى مدنهم.

وتتقوى هذه النظرية بعدة أدلة[2]:

1. **معرفة الطرطوشي بالأندلس وجغرافيا شبه الجزيرة الإيبيرية:** يظهر من الأجزاء المحفوظة من رحلاته، والتي اقتبسها كل من **العذري** و**البكري**، أن معرفته بمناطق الأندلس وشبه الجزيرة الإيبيرية عامة، بما في ذلك شمال إسبانيا، كانت تفصيلية ودقيقة. هذا يدل على أنه كان على دراية شخصية بهذه المناطق، وهو ما يشير إلى أنه من أهل الأندلس، ومن ناحية أخرى عند مناقشة مناطق شمال إفريقيا، لا يُذكر اسمه مما يوحي بأنه ربما لم يزر هذه الأقاليم أو أن معرفته بها كانت محدودة للغاية.

[1] عبد الرحمان الحجي، مصدر سابق، ص 305.

[2] القبس الكويتية، الرحّالة إبراهيم بن يعقوب.. التشيك تفاخروا به والعرب أغفلوه .. " ، على الموقع https://www.alqabas.com/

2. **تواصله مع ملك الروم بشأن إسبانيا** :يشير الخطاب الموجه إليه من قِبل ملك الروم إلى أنه ناقش مسائل مرتبطة بإسبانيا بشكل محدد ودقيق، إلى درجة أنه لم يكن من الممكن أن يحصل على هذه المعلومات إلا إذا كان من أصول أندلسية، كما أن أسلوب الخطاب ومضمون النقاش يؤكدان أنه كان متحدثًا إلى شخص أندلسي، ما يدعم فرضية أصله المحلي[1].

علاوة على ذلك يذكر الطرطوشي في رحلاته بعض المواقع المسيحية المحلية، مثل الكنيسة الواقعة قرب نورقة(Murcia)[2] ، والتي تضم ضريح شهيد وشجرة زيتون في ساحة الكنيسة وهو وصف دقيق يعكس معرفته بالمناطق المحلية في الأندلس، ويعزز فرضية أصله الأندلسي.

[1] عبد الرحمان الحجي، مرجع سابق، ص 307.

[2] لورقة (Lorca) مدينة أندلسية تاريخية تقع جنوب شرق إسبانيا الحالية ضمن إقليم مرسية .(Murcia) عرفت خلال العصر الإسلامي بأهميتها العسكرية والاستراتيجية، إذ كانت تشكل حصنًا دفاعيًا مهمًا في منطقة تدمير .(Tudmir)كما اشتهرت بنشاطها الزراعي والتجاري، مما جعلها من المدن البارزة في الأندلس.

المبحث الثاني : رحلاته:

تُعدّ رحلةُ إبراهيم الطرطوشي الأندلسي من أقدم الرحلات العربية التي وثّقت مناطق أواسط وشمالي أوروبا في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، وقد قدّمت هذه الرحلة معلومات غير مسبوقة عن تلك البلاد، التي كانت آنذاك تعيش حالة من التخلف والبدائية. ولا يُعدّ من المبالغة القول إنها شكّلت أحد أهم المصادر المبكرة للتعرّف على مناطق مثل تشيكوسلوفاكيا وبولندا ويوغوسلافيا وغيرها من بلدان أوروبا الوسطى.

ورغم أهمية هذه الرحلة فإن نصوصها الأصلية فُقدت، ولم يصلنا منها سوى مقتطفات متناثرة حفظها بعض الجغرافيين العرب من بينهم أبو عبيد البكري في كتابه "المسالك والممالك"، والقزويني في "عجائب المخلوقات"، إضافة إلى غيرهما، وقد لاقت رحلة الطرطوشي اهتمامًا واسعًا لدى المستشرقين في القرن التاسع عشر حيث أصبحت موضوعًا لعدد من الدراسات الأكاديمية الغربية التي سعت إلى جمع شتاتها من بطون المصادر العربية القديمة وإعادة بنائها.[1]

المطلب الأول: الاطار الزماني والمسار الجغرافي[2]

في تتبع رحلة إبراهيم الطرطوشي، يبرز الإطار الزماني والمسار الجغرافي كعنصرين أساسيين لفهم طبيعة تحركاته واتساع تجربته، فهذه الرحلة لم تكن انتقالًا عشوائيًا بين البلدان، بل جاءت في سياق تاريخي محدد، خلال النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، في زمن شهد نشاطًا دبلوماسيًا وتجاريًا متزايدًا بين الأندلس وأوروبا، ومن خلال المدن التي ذكرها، والمسالك التي أشار إليها، يمكن

[1] عبد الرحمان الحجي، مرجع سابق، ص 308.

[2] انظر الملحق رقم 1

رسم صورة تقريبية لمسار رحلته الذي امتد من الأندلس إلى إيطاليا، ثم إلى قلب أوروبا الوسطى والشمالية، قبل أن يعود عبر فرنسا وشمالي إسبانيا وهكذا فإن تتبع هذا الإطار الزماني والجغرافي لا يقتصر على تحديد خط السير، بل يكشف أيضًا عن ترابط مراحل الرحلة، ويساعد في فهم سياقها التاريخي وأبعادها المعرفية.

بلاد الجليقيين (غاليسيا)

استهلّ إبراهيم الطرطوشي رحلته من بلاد الجليقيين (غاليسيا) حيث قدّم وصفًا عامًا لطبيعة الأرض وأحوال السكان، فأشار إلى أنّ البلاد في معظمها سهلية يغلب عليها الطابع الرملي ما يؤثر في طبيعة الزراعة والمعيشة، وذكر أن قوت السكان يعتمد بشكل رئيسي على الحبوب البسيطة مثل الدخن والذرة، وهي محاصيل تتلاءم مع طبيعة التربة هناك.

كما تحدّث عن عاداتهم في الأشربة، مبينًا أنهم يعتمدون على شراب التفاح، إضافة إلى نوع آخر يُصنع من الدقيق يُعرف بالبشكة، ولم يقتصر وصفه على الجانب المعيشي، بل تطرّق إلى الطباع والسلوكيات، فرأى أن أخلاقهم تتسم بالخشونة وقلة العناية بالنظافة الشخصية، إذ ذكر أنهم نادرًا ما يغتسلون، ولا يحرصون على تنظيف ثيابهم، بل يعتقدون أن ما يعلق بها من عرق وأوساخ يعزز صحة أجسادهم[1].

أما من حيث المظهر، فقد وصف لباسهم بأنه ضيق ومفتوح من مواضع عدة، بحيث يظهر جزء كبير من أجسادهم، وعلى الرغم من هذه الصورة التي رسمها عن حياتهم اليومية، فقد أقرّ بشجاعتهم في القتال، مؤكدًا أنهم يتحلون ببأس شديد، ولا يعرفون الفرار في الحروب، بل يعدّون الموت أهون من الهزيمة.[2]

[1] فتحي رضوان، مرجع سابق، ص 92.

[2] مؤنس حسين، مرجع سابق، ص 85.

بلاد إفرنجة

خرجت سفينة محملة بأهم منتجات الأندلس من الزيت الأندلسي والتين والخمور، وحجر الشبة القشتالى المستخدم فى عمليات دباغة الجلود ، والتوابل ، وقد أبحرت هذه السفينة من ميناء مالقة ومرت فى طريق ذهابها وعودتها بالعديد من الموانىء الأوربية ، و أهم تلك المؤانىء ، والذى حدث فيه لقائد الرحلة حث فريد هو ميناء ماينز وقد قدّم وصفًا أكثر تفصيلًا لطبيعة هذه البلاد وموقعها الجغرافي[1].

أشار إلى أن مناخها يتسم بالقسوة في الشتاء بسبب شدة البرودة، في حين يكون معتدلًا في فصل الصيف، ما يجعلها صالحة لنمو أنواع متعددة من الفواكه، كما لفت إلى كثرة الأنهار فيها، موضحًا أن كثيرًا منها ينبع من ذوبان الثلوج، وهو ما يفسر غزارة المياه وانتشارها في تلك المناطق.

ومن الناحية العمرانية، وصف مدن الإفرنجة بأنها محصّنة بأسوار متقنة، وتتميّز ببناء محكم يدل على قدر من التنظيم والاستقرار، كما حدّد موقعها الجغرافي، مشيرًا إلى امتدادها حتى البحر الشامي من جهة، واتصالها بالمحيط من جهة أخرى، مما يمنحها أهمية استراتيجية[2].

وتحدّث كذلك عن اتصالها ببلاد أخرى، مثل بلاد الروم من الشمال، وبلاد الصقالبة التي تفصلها عنها غابات كثيفة تمتد لمسافات طويلة، إضافة إلى اتصالها

[1] راوية عبد الحميد شافع، منهج المستشرقة أألمانية سيجريد هونكة فى الكتابة عن الحضارة أألندلسية .من خالل كتاب شمس العرب تسطع على الغرب ، مجلة العمارة والفنون، العدد 6، ص 5.

[2] مؤنس حسين، مرجع سابق، ص 94.

شرقًا وغربًا بأقوام وشعوب مختلفة، كالبشكنس[1] وبيوره[2]، الذين يتميّزون بلغات تختلف عن لغة الإفرنج.

قال إبراهيم " بلد الجلّيقيّين سهل جميعه والغالب على أرضه الرمل وأكثر أقواتهم الدخن والذرّة، ومعولهم في الأشربة على شراب التفاح والبشكة، وهو شراب يتّخذ من الدقيق، وأهله أهل غدر ودناءة أخلاق لا يتنظّفون ولا يغتسلون في العام إلّا مرّة أو مرّتين بالماء البارد، ولا يغسلون ثيابهم منذ يلبسونها إلى أن تنقطع عليهم، ويزعمون أنّ الوسخ"[3]

ويُضيف الطرطوشي في وصفه لبلاد إفرنجة مزيدًا من التفاصيل التي تُبرز اتساع رقعتها الجغرافية وأهميتها، إذ يشير إلى أنها تمتد طولًا وعرضًا لمسافة تُقدَّر بنحو شهرين من السير، متصلة بقبائل وأقاليم متعددة، ويُبيّن أن حدودها الشرقية والشمالية تفصلها عن بلاد الصقالبة سلسلة جبلية عظيمة تمتد بين بحرين، مشكلةً حاجزًا طبيعيًا يفصل بين العالمين.

كما يوضح أن بلاد الإفرنجة تمتد بمحاذاة الساحل البحري الجنوبي الشامي حتى تلامس جزيرة رومة وبلاد لنقبرذية (لومبارديا)، بينما تمتد شمالًا بمحاذاة الجبال حتى تصل إلى البحر المحيط، ويعكس هذا الوصف إدراكًا جغرافيًا واسعًا لشبكة الامتدادات والحدود الطبيعية التي تربط هذه البلاد بمحيطها الأوروبي[4].

---

[1] كالبشكنس: منطقة تاريخية تقع في شمال شبه الجزيرة الإيبيرية، وكانت ذات أهمية عسكرية خلال العصور الوسطى. عرفت بموقعها القريب من مناطق النزاع بين المسلمين والممالك المسيحية في الأندلس. كما ساهمت في الأحداث السياسية والعسكرية التي شهدتها المنطقة.

[2] بيوره: تعد من المناطق الواقعة في شمال الأندلس، وارتبط اسمها بالممالك المسيحية في شبه الجزيرة الإيبيرية. اشتهرت بموقعها الاستراتيجي الذي جعلها مركزًا مهمًا للتحركات العسكرية والسياسية. كما لعبت دورًا في العلاقات والصراعات بين المسلمين والمسيحيين خلال العصور الوسطى.

[3] ابو عبيدعبد الله البكري الاندلسي، المسالك والممالك، دار اللغرب لااسلامي، 1992، ص 915

[4] نفسه، ص 920.

ويتطرق الطرطوشي إلى الشعوب المجاورة، فيذكر اتصال بلاد الإفرنجة ببلاد الصقالبة، وكذلك بأقوام يصفهم بالمجوس المعروفين بالإنقلش، مشيرًا إلى تميز سيوف الإفرنجة التي يرى أنها تفوق حتى السيوف الهندية، وهو تعبير عن تقديره لجودة صناعتهم الحربية.

أما عن شعب الإنقلش، فيقدّم وصفًا إثنوغرافيًا يعكس تصورات عصره، إذ يعدّهم جنسًا من الأتراك استقروا قرب بلاد الصقالبة، ويحدد مواضعهم الجغرافية بدقة نسبية، فحدودهم الغربية تتصل ببلاد بويرة وبويصلاو، بينما يجاورهم من الشمال قوم الروس، ومن الشرق قبائل البجناك، تفصلهم عنهم صحارى وقفار واسعة غير مأهولة، كما يجاورهم من الجنوب بعض بلاد البلقار، مع وجود مسافات شاسعة من الأراضي الخالية بين هذه المناطق[1].

ويُظهر هذا الوصف محاولة الطرطوشي رسم خريطة ذهنية متكاملة للعالم الأوروبي كما عرفه، جامعًا بين الملاحظة المباشرة والمعلومات المنقولة، في صورة تعكس تداخل الجغرافيا بالإثنوغرافيا في كتابات الرحالة العرب في تلك الحقبة.

بلاد الروس

ينتقل الطرطوشي في رحلته إلى وصف بلاد الروس، مقدّمًا صورة جغرافية واجتماعية لافتة تعكس ما وصل إليه من أخبار مباشرة وغير مباشرة عن تلك المناطق البعيدة، فيذكر أن الروس يقيمون في جزيرة تحيط بها بحيرة واسعة، وتمتد هذه الجزيرة مسيرة خمسة أيام، وهي منطقة تغلب عليها الأشجار الكثيفة والغابات المتشابكة، ما يمنحها طابعًا طبيعيًا حصينًا[2].

[1] ابو عبيدعبد الله البكري الاندلسي، مصدر سابق ، ص 921.

[2] تيسير خلف، الطرطوشي.. الرحالة الأندلسي في مجاهل الشمال الأوروبي قبل عام 1100، على الموقع https://urli.info/1m52M

ويشير إلى أن حاكمهم يُعرف بلقب "خاقان روس"، وهو لقب ذو دلالة سياسية يعكس طبيعة الحكم والتنظيم لديهم، ويُقدّر عددهم بنحو مئة ألف نسمة، كما يبرز جانبهم العسكري، موضحًا أنهم قوم محاربون يعتمدون في معيشتهم على الغزو، إذ يشنّون حملات بحرية على بلاد الصقالبة مستخدمين السفن، في دلالة على مهارتهم في الملاحة والتنقل عبر الأنهار والبحيرات.[1]

ويتحدث الطرطوشي عن علاقة الروس بجيرانهم، فيذكر أن البلقان كانوا خاضعين لهم ومتوافقين معهم، مما يدل على نفوذهم في تلك المنطقة، كما يلاحظ غياب النشاط الزراعي أو الحرفي لديهم، حيث لا يعتمدون على الزراعة أو الصناعة، بل على ما يحققونه من غنائم بأسلحتهم، وهو ما يعكس نمط حياة قائمًا على القوة العسكرية.

ويُقسّم الروس إلى ثلاثة أصناف رئيسية:

- فئة يقيم ملكها في مدينة "كويابة" (كييف)، وهي الأقرب إلى بلاد البلقان، وتُعدّ مركزًا مهمًا ومفتاحًا للتواصل التجاري[2].
- وفئة أخرى تُعرف باسم "الصلاوة" (السلاف)، وهم من الشعوب المرتبطة بهم.
- أما الفئة الثالثة فتُسمّى "الأوثانية"، وملكهم يقيم في منطقة تحمل الاسم نفسه.

ويُشير إلى أن التجار لا يتجاوزون مدينة كويابة في تعاملهم مع الروس، ما يدل على كونها محطة تجارية رئيسية، في حين تبقى المناطق الأخرى، خصوصًا "أوثان"، غامضة وخطرة، إذ يُنقل أن أهلها يقتلون كل غريب يدخل أرضهم، وهو ما حال دون وصول معلومات دقيقة عنها.

[1] تيسير خلف، مرجع سابق

[2] مؤنس حسين، تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس، مرجع سابق ، ص 87.

بلاد الصقالبة (السلاف)

يقدّم إبراهيم الطرطوشي وصفًا واسعًا لبلاد الصقالبة، مبرزًا امتدادها الجغرافي الكبير، إذ يشير إلى أنها تمتد من البحر الشامي حتى البحر المحيط شمالًا، وهو ما يعكس سعة هذه البلاد وتنوّع بيئاتها، ويُلاحظ أن القبائل الشمالية تغلبت على غيرها واستقرت في مناطقها، مما أدى إلى نوع من التوازن أو الاستقرار النسبي بين تلك الجماعات[1].

ويتناول الطرطوشي البنية السياسية والاجتماعية للصقالبة، موضحًا أنهم كانوا في زمن سابق تحت حكم ملك واحد يُدعى "ماخا"، وكان ينتمي إلى قبيلة تُعرف بـ"ولينانا"، وهي من أبرز وأقوى القبائل لديهم، غير أن هذا التوحّد لم يدم، إذ سرعان ما دبّ الخلاف بينهم، فتفرّقوا إلى جماعات متنازعة، واستقلّ كل جنس بملكه، مما أدى إلى تفكك وحدتهم السياسية[2].

ويذكر أن ملوكهم في عصره تعددوا، ومن أبرزهم: ملك البلغار، وملك بويصلاو (فاتسلاف) الذي يحكم مناطق مثل براغ وبوهيمية وكراكوف، إضافة إلى "مشقه" (موسكو) ملك الجهات الشمالية، و"ناقون" الذي يحكم أقصى الغرب، وهي مناطق تقارب جغرافيًا ما يُعرف اليوم ببولندا.

ويفرد الطرطوشي وصفًا خاصًا لبلاد الملك ناقون، فيشير إلى موقعها المجاور لبلاد سكسون وبعض النورمان، ويصفها بأنها أرض رخيصة الأسعار، كثيرة الخيل، ما يجعلها موردًا مهمًا لتصدير الخيول إلى غيرها من البلدان، كما يبرز قوتهم

[1] حازم غانم حسين، دور العلماء السياسي والاجتماعي في الاندلس عهد الطوائف والمرابطين، اطروحة ذكتوراه تخصص التاريخ الاسلامي، جامعة الموصل، 1995، ص 210.

[2] ابو عبيدعبد الله البكري الاندلسي، مصدر سابق، ص 922.

العسكرية، إذ يمتلكون أسلحة متينة تشمل الدروع والخوذ والسيوف، مما يدل على استعدادهم للحرب[1].

ومن الناحية العمرانية والعسكرية، يصف الطرطوشي تحصيناتهم بدقة لافتة، فيذكر أن الوصول إلى حصونهم يتم عبر مسافات طويلة، منها جسور خشبية تمتد لمسافات كبيرة، كما في الجسر الذي يبلغ طوله ميلًا كاملًا، ويقع حصن "غراد" – أي الحصن الكبير – على مسافة قريبة من هذه الجسور، وهو نموذج لتحصيناتهم.[2]

ويُبرز الطرطوشي أسلوبهم المميز في بناء الحصون، إذ يعتمدون على اختيار مناطق مغمورة بالمياه والمستنقعات، ثم يقومون بتخطيط الحصن بشكل دائري أو مربع، ويحفرون حوله خنادق تُردم بالتراب المدعّم بالأخشاب، لتشكيل أسوار قوية تشبه الطوابي، ويُنشأ للحصن مدخل واحد يصل إليه عبر جسر خشبي، مما يزيد من صعوبة اقتحامه.

كما يشير إلى أن بعض هذه الحصون تُبنى داخل بحيرات عذبة، وهو ما يعزز مناعتها الطبيعية، ويؤكد في ختام وصفه أن طبيعة بلاد ناقون، بما فيها من مروج رطبة ومستنقعات وأراضٍ موحلة، تجعل من الصعب على الجيوش اختراقها، وهو ما يمنح أهلها ميزة دفاعية كبيرة.

ويعكس هذا الوصف الدقيق اهتمام الطرطوشي بالجوانب الجغرافية والعسكرية، كما يكشف عن فهم عميق لطبيعة المجتمعات السلافية وتنظيمها، في إطار مزيج من الملاحظة المباشرة والروايات المنقولة.[3]

---

[1] ابو عبيدعبد الله البكري الاندلسي، مصدر سابق، ص 923.

[2] ابي عبيد البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا، دار الارشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1968، ص 155.

[3] كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، عريب : صلاح الدين عثمان، جامعة الدول العربية لجنة التأليف و الترجمة و النشر، 1957، ص 66.

مدينة براغ (فراغة)

يخصّ إبراهيم الطرطوشي مدينة فراغة (براغ) بوصفٍ مفصّل يكشف عن مكانتها السياسية والاقتصادية في بلاد بويصلاو (فاتسلاف)، فيذكر أن مملكة هذا الأخير تمتد من براغ إلى كراكوف مسيرة ثلاث جمعات، ما يدل على اتساع رقعتها، بل ويشير إلى أنها تفوق في طولها بعض بلاد الأتراك، في إشارة إلى سعة نفوذها الجغرافي.

ويبرز الطرطوشي أهمية براغ بوصفها مدينة عامرة مبنية بالحجر والجير، وهو ما يعكس تطورًا عمرانيًا واضحًا مقارنة بغيرها من مدن تلك الجهات، كما يصفها بأنها من أعظم مراكز التجارة في المنطقة، إذ ترد إليها القوافل من كراكوف محمّلة ببضائع الروس والصقالبة، كما يقصدها التجار من بلاد الإسلام واليهود والترك، حاملين معهم مختلف السلع والمثاقيل النقدية، في حركة تجارية نشطة تعكس موقعها كحلقة وصل بين الشرق والغرب.[1]

وفي المقابل تصدّر هذه البلاد منتجات متنوعة، منها الدقيق والقصدير وأنواع الأوبار، ما يدل على تنوع مواردها، ويُثني الطرطوشي على مستوى المعيشة فيها، واصفًا إياها بأنها من أطيب بلاد الشمال وأكثرها رخاءً، حيث تنخفض الأسعار بشكل لافت؛ إذ يمكن لقطعة نقدية صغيرة (قنشار) أن تكفي لشراء قمح يكفي الإنسان شهرًا، أو شعير يكفي دابة أربعين يومًا، بل وحتى عشر دجاجات.[2]

كما يتطرق إلى الصناعات المحلية فيذكر أن براغ تشتهر بصناعة السروج واللُّجم والدروع، وهي أدوات أساسية في الحياة العسكرية والاقتصادية، ويشير أيضًا إلى صناعة غريبة في بلاد بوهيمية، تتمثل في مناديل خفيفة منسوجة على هيئة

---

[1] محمود وسن ابراهيم حسين، القزويني ومنهجه في كتابه آثار البلاد وأخبار العباد، مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة بغداد، العدد 211، العراق، 2014، ص 112.

[2] نفسه، ص 113.

الشبكة، لا فائدة عملية لها، لكنها تُستخدم كوسيلة للتبادل التجاري، حيث تُعدّ بمثابة عملة محلية تُقوَّم بها السلع المختلفة، من الحبوب إلى الخيل والمعادن النفيسة.[1]

ومن الملاحظات الطريفة التي يسجلها الطرطوشي، وصفه لهيئة السكان، إذ يذكر أنهم يميلون إلى السمرة وسواد الشعر، بينما تُعدّ الصفات الشقراء نادرة بينهم، وهو وصف يعكس اهتمامه بالسمات البشرية إلى جانب الجغرافيا والاقتصاد.

ويُكمل الطرطوشي وصفه برسم مسار الطريق المؤدي إلى براغ، محددًا المسافات بين الحصون والمدن بدقة، مثل حصن قليوي ونوب غراد، مشيرًا إلى الأنهار التي تمر بها هذه المواقع، كنهري صلاوة وملداوه، كما يصف الغابات الكثيفة (الشعراء) التي تمتد لعشرات الأميال عبر جبال وعرة، ويصعب اجتيازها، قبل الوصول إلى جسور خشبية تمر فوق أراضٍ موحلة، لتقود في النهاية إلى مدينة براغ.

ويعكس هذا الوصف التفصيلي دقة الطرطوشي في تتبع الطرق والمسالك، واهتمامه برسم صورة متكاملة للمدينة ومحيطها، من حيث الجغرافيا والاقتصاد والعمران، مما يجعل شهادته من أقدم وأهم المصادر عن هذه المنطقة في أوروبا الوسطى.[2]

موسكو

يقدّم إبراهيم الطرطوشي وصفًا غنيًا لبلاد الملك مشقه، التي يصفها بأنها أوسع بلاد الصقالبة وأكثرها وفرة في الموارد، فيشير إلى غناها بالطعام، وخاصة اللحوم والعسل، إضافة إلى النشاط الزراعي الواسع، مما يجعلها منطقة مزدهرة اقتصاديًا مقارنة بغيرها من البلاد المجاورة.

[1] زكي محمد حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي، لبنان، 1945، ص 45.

[2] محمود وسن ابراهيم حسين، مرجع سابق، ص 113.

ويتناول نظامها الإداري والمالي، موضحًا أن جباية الدولة تقوم على "المثاقيل المرقطية"، وهي عملة تُستخدم لدفع رواتب الجنود والرجال شهريًا، بحيث يحصل كل فرد على مقدار محدد منها، ويكشف هذا عن وجود نظام مالي منظّم قائم على الرواتب الثابتة، وهو أمر متقدم نسبيًا في تلك المرحلة.

كما يبرز الطرطوشي القوة العسكرية للملك، إذ يذكر أن لديه ثلاثة آلاف من الجند المدرعين، يتمتعون بكفاءة عالية، حتى إن المئة منهم تعادل ألفًا من غيرهم، ويُظهر اهتمام الدولة بجنودها، حيث يُزوَّدون بالملابس والخيل والسلاح وكل ما يحتاجون إليه، مما يعكس تنظيمًا عسكريًا محكمًا.[1]

ومن الجوانب اللافتة في وصفه، حديثه عن النظام الاجتماعي، خاصة ما يتعلق بالمواليد والزواج، إذ يذكر أن الدولة تمنح رزقًا لكل مولود منذ لحظة ولادته، ذكرًا كان أو أنثى، وهو أمر يعكس نوعًا من الرعاية المبكرة، وعند بلوغ الذكر يُزوَّج على نفقة والده، بينما تُزوَّج الأنثى ويُدفع مهرها لأبيها، ويلاحظ الطرطوشي أن "النحلة" (المهر) ذات قيمة كبيرة عند الصقالبة، حتى إن إنجاب البنات يُعدّ مصدر غنى، بخلاف إنجاب الذكور الذي قد يُعدّ عبئًا اقتصاديًا، وهو تصور يختلف عن كثير من المجتمعات الأخرى.[2]

وينتقل الطرطوشي إلى وصف الشعوب المجاورة، فيذكر أن الروس يحدّون مشقه من الشرق، بينما تقع بلاد بروس (بروسيا) إلى الشمال، وهي منطقة ساحلية على البحر المحيط، يتميز أهلها بلغة خاصة لا يفهمها جيرانهم، ويشيد بشجاعتهم، مؤكدًا أنهم يقاتلون بشراسة ولا يتراجعون في المعارك.

[1] اغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي، مرجع سابق، ص 72.

[2] آمنة سليمان البدوي، مرجع سابق، 67.

كما يورد خبرًا غريبًا عن "مدينة النساء"، التي يقال إنها تقع في الغرب من بلاد الروس، حيث تعيش نساء يعتمدن على العبيد في الإنجاب، ويقتلن المواليد الذكور، ويتولين بأنفسهن شؤون القتال وركوب الخيل، ويُعرفن بالبأس والشجاعة، ويشير الطرطوشي إلى أن هذا الخبر نقله عن إمبراطور الروم (أوتو الأول)، مما يدل على اعتماده أحيانًا على الروايات المنقولة من مصادر سياسية.

ويواصل وصفه للقبائل المجاورة، فيذكر قبيلة "ولتابه" التي تعيش في غابات كثيفة غرب بلاد مشقه، وتمتلك مدينة كبيرة على ساحل البحر، لها اثنا عشر بابًا ومرفأ، ويصف هذه القبيلة بأنها قوية الشكيمة، تقاتل مشقه، لكنها لا تخضع لسلطة ملك، بل يحكمها شيوخها، مما يشير إلى نظام قبلي قائم على المشيخة لا الملكية[1].

ويعكس هذا الوصف تنوعًا كبيرًا في البنى السياسية والاجتماعية بين شعوب المنطقة، كما يُظهر اهتمام الطرطوشي بتسجيل التفاصيل الدقيقة، سواء كانت واقعية أو منقولة، مما يجعل نصه مصدرًا مهمًا لفهم تصورات العالم الإسلامي عن أوروبا الشرقية في العصور الوسطى.[2]

البلغار

يتناول إبراهيم الطرطوشي في هذا الجزء وصفًا لملك البلغار (البلقارين) ونظامهم، إلى جانب صورة واسعة عن حياة الصقالبة وعاداتهم، ويذكر أنه لم يدخل بلاد البلغار بنفسه، لكنه شاهد رسل ملكهم في مدينة ماذن برغ، وقد لفت نظره مظهرهم المميز؛ إذ كانوا يرتدون ملابس ضيقة، ويتمنطقون بأحزمة طويلة مزينة بالذهب والفضة، في دلالة على مكانتهم وهيبة دولتهم[3].

[1] محمود وسن ابراهيم حسين، مرجع سابق، ص 114

[2] اغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي، مرجع سابق، ص 75.

[3] آمنة سليمان البدوي، مرجع سابق، ص 68.

ويصف ملكهم بأنه عظيم الشأن، يتوّج رأسه بالتاج، ويحيط نفسه بجهاز إداري منظم يضم الكُتّاب وأصحاب الخطط، وتُدار شؤون حكمه وفق نظام وترتيب يشبه ما هو معروف عند كبار الملوك، كما يشير إلى معرفتهم باللغات، وترجمتهم للإنجيل إلى اللغة الصقلبية، مؤكدًا أنهم يدينون بالمسيحية، ويورد أن تنصّر ملك البلغار جاء بعد صراع مع الروم، حيث حاصر القسطنطينية، ثم صالحه إمبراطورها وزوّجه ابنته، فكان ذلك سببًا في اعتناقه المسيحية.

وينتقل الطرطوشي إلى تحديد موقع بلاد البلغار، مبرزًا اتصالها بالقسطنطينية من الجنوب، ومجاورتها لقبائل البجناك شرقًا وشمالًا، إضافة إلى وصف جغرافي دقيق للخليج المعروف بـ"بناجيه"، الذي يحيط بالأراضي ويجعلها شبه جزيرة، تتصل بسواحل رومة ولومبارديا، كما يشير إلى أن سكان ضفاف هذا الخليج من الصقالبة، ويلاحظ أن الغربيين منهم أشد بأسًا من الشرقيين بسبب طبيعة بلادهم الجبلية الوعرة.[1]

ويقدّم الطرطوشي في ختام وصفه صورة شاملة للصقالبة، فيراهم أصحاب قوة وبأس شديد، ولولا تفرّقهم وتعدد قبائلهم لكانوا من أقوى الأمم، وقد استقروا في أراضٍ خصبة غنية بالموارد، ويتميّزون باجتهادهم في الزراعة وطلب الرزق، حتى فاقوا غيرهم من شعوب الشمال في هذا المجال، كما نشطت تجارتهم برًا وبحرًا، خاصة مع الروس والقسطنطينية، وانتشرت لغتهم بين كثير من الشعوب المجاورة نتيجة الاختلاط[2].

ويشير إلى أن المجاعة في بلادهم لا تنتج عن القحط، بل عن كثرة الأمطار التي تفسد المحاصيل، نظرًا لطبيعة أراضيهم الرطبة والباردة، وهم يزرعون مرتين في السنة، في الربيع والصيف، ويعتمدون أساسًا على محصول الدخن، ويلاحظ أن البرد

[1] آمنة سليمان البدوي، مرجع سابق ، ص 69.

[2] اغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي، مرجع سابق، ص 73.

لا يضرهم مهما اشتد، بينما يشكّل الحر خطرًا كبيرًا عليهم، حتى إنهم يتجنبون السفر إلى البلاد الحارة كبلاد لومبارديا.[1]

أما من الناحية الصحية، فيذكر أنهم يعانون أمراضًا شائعة مثل الحمرة والنواصير، ويتجنبون بعض الأطعمة كالدجاج لاعتقادهم بأنها تزيد من هذه العلل، بينما يفضلون لحوم البقر والإوز، ويصف لباسهم بأنه واسع عمومًا، مع أكمام ضيقة، كما يشير إلى شدة غيرة الرجال على نسائهم، وكثرة الزوجات، إذ قد يتزوج الرجل منهم عشرين امرأة أو أكثر.

ويُضفي الطرطوشي لمسة وصفية على بيئتهم الطبيعية، فيذكر انتشار أشجار التفاح والإجاص والخوخ، ووجود طيور مميزة، منها طائر يحاكي الأصوات يسمونه "سبا"، وآخر بريّ يسمى "تترا" يتميز بجماله وطعم لحمه، كما يلفت إلى حبهم للموسيقى، إذ يستخدمون آلات متعددة كالمزامير والمزاهر، بعضها كبير الحجم ومتعدد الأوتار.

ويختم بالإشارة إلى أن شرابهم الأساسي هو نبيذ العسل، في دلالة على اعتمادهم على منتجات البيئة المحلية، ويعكس هذا الوصف الشامل اهتمام الطرطوشي بتفاصيل الحياة اليومية للصقالبة، جامعًا بين الجغرافيا والعادات والاقتصاد، ليقدّم صورة متكاملة عن هذه الشعوب في العصور الوسطى.[2]

وبناءً على ذلك يمكن القول إن دراسة رحلة الطرطوشي تعتمد على نصوص مجتزأة ومتداخلة نُقلت عبر سلسلة من الجغرافيين، وهو ما يفسّر وجود بعض التناقضات أو الاختلافات في التواريخ والتفاصيل، ومع ذلك فإن هذه النقول – رغم نقصها – تظل ذات قيمة كبيرة، خاصة إذا ما قورنت ببعضها البعض، وأُخضعت للتحليل النقدي الذي يميّز بين الروايات الأقدم والأقرب إلى الأصل، وتلك التي شابها التحريف أو الإضافة.

[1] زكي محمد حسن، مرجع سابق، ص 47.

[2] آمنة سليمان البدوي، مرجع سابق، ص 72..

المطلب الثاني: قيمة وأهمية رحلة الطرطوشي

تُعدّ رحلة إبراهيم الطرطوشي من أبرز الوثائق الجغرافية والحضارية التي وصلتنا من العصور الوسطى، لما تنفرد به من معطيات دقيقة ونادرة عن أوروبا الوسطى والشرقية في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، قدّم من خلالها صورة مختلفة عن تلك المناطق، بعيدًا عن الروايات الأوروبية التقليدية.[1]

حيث قام اليهودي ابراهيم بن يعقوب الطرطوشي (ت356هـ/967م) بسفارات عديدة، كانت أبرزها تلك التي توجّه فيها إلى روما سنة350هـ /961م، وقد استثمر الطرطوشي سفاراته تلك في مجال التأليف حيث صنّف كتابا حول أوروبا الوسطى والشرقية كاشفا جغرافيتها من حيث المناخ والأنهار والطبيعة.[2]

أول ما يلفت في هذه الرحلة هو قيمتها التاريخية، إذ تُعدّ من أقدم المصادر التي تناولت شعوبًا مثل الصقالبة (السلاف)، والروس، والبلغار، وغيرهم، في مرحلة كانت فيها هذه المجتمعات لا تزال في طور التشكّل السياسي، وقد ساعدت هذه الشهادة على سدّ فراغ كبير في دراسة تاريخ أوروبا الشرقية، خاصة في ظل ندرة المصادر المعاصرة لتلك الفترة.

كما تتميّز الرحلة بقيمتها الجغرافية، حيث قدّم الطرطوشي وصفًا دقيقًا للمسالك والطرق، وحدّد المسافات بين المدن، وتناول طبيعة الأراضي من جبال وغابات وأنهار ومستنقعات، ولم يكتفِ بذلك بل ربط بين الجغرافيا والواقع السياسي والعسكري، موضحًا كيف تؤثر طبيعة الأرض في قوة الدول وصعوبة غزوها، كما في وصفه لبلاد ناقون ومستنقعاتها.

---

[1] عبد الرحمان الحجي، مصدر سابق، ص 312.

[2] البشير بوقاعدة، التواصل والمثاقفة بين النخب العلمية الاسلامية وأهل الذمة بندينة قرطبة لااندلسية خلال القرنين 4-5 هـ / 10-11م ، مجلة العبر للدراسات التاريخية والاثرية، المجلد 3، العدد 2، 2020، ص 118.

ومن الناحية الاقتصادية، تُعدّ الرحلة مصدرًا مهمًا لفهم أنماط المعيشة والتجارة في تلك البلاد، إذ تناولت أسعار السلع، وأنواع المنتجات، ووسائل التبادل، بل حتى أشكال "النقود البدائية" كاستخدام المناديل في بوهيمية، كما أبرزت دور مدن مثل براغ كمراكز تجارية دولية، تتقاطع فيها طرق التجارة بين الشرق الإسلامي وأوروبا.[1]

أما من الناحية الاجتماعية والأنثروبولوجية، فقد سجّل الطرطوشي ملاحظات تفصيلية عن عادات الشعوب، من الزواج واللباس إلى الغذاء والطباع اليومية، مما يمنح الباحثين مادة غنية لدراسة الحياة الاجتماعية في أوروبا آنذاك، ورغم أن بعض هذه الأوصاف قد تتأثر بنظرة الرحالة أو بثقافة عصره، فإنها تبقى ذات قيمة كبيرة لفهم صورة "الآخر" في الذهنية العربية الوسيطة[2].

وتبرز كذلك قيمة الرحلة في جانبها السياسي، حيث قدّم الطرطوشي وصفًا لأنظمة الحكم، من الممالك المنظمة كدولة البلغار، إلى الكيانات القبلية التي يحكمها الشيوخ، كما أشار إلى العلاقات بين هذه الدول، سواء كانت علاقات صراع أو تبعية أو تبادل تجاري، وهو ما يساعد في إعادة رسم خريطة التوازنات السياسية في تلك المرحلة.

كما أن للرحلة قيمة كبرى من حيث تأثيرها اللاحق، إذ أصبحت مرجعًا اعتمد عليه جغرافيون عرب مثل البكري والقزويني، اللذين حفظا أجزاء منها في مؤلفاتهما، بعد أن فُقد النص الأصلي، وفي العصر الحديث، حظيت باهتمام كبير من قبل المستشرقين والباحثين الغربيين، الذين سعوا إلى جمع شتاتها وتحقيقها، لما تقدّمه من مادة فريدة لدراسة تاريخ أوروبا من منظور غير أوروبي.[3]

---

[1] عبد الرحمان الحجي، مصدر سابق، ص 315.

2 نفسه، ص 316.

[3] آمنة سليمان البدوي، مرجع سابق، ص 77.

ولا يمكن إغفال بعدها الحضاري، إذ تكشف الرحلة عن وجود تواصل فعلي بين العالم الإسلامي وأوروبا، سواء عبر التجارة أو السفارات أو تبادل المعرفة، فهي تُظهر أن تلك المناطق لم تكن معزولة كما يُتصوَّر أحيانًا، بل كانت جزءًا من شبكة أوسع من التفاعل الإنساني[1]. .

وخلاصة القول، فإن رحلة الطرطوشي ليست مجرد وصف لبلدان بعيدة، بل هي وثيقة متعددة الأبعاد: تاريخية، وجغرافية، واقتصادية، واجتماعية، وحضارية، ومن خلال هذا التعدد، تكتسب قيمتها الاستثنائية، وتبقى إلى اليوم مصدرًا لا غنى عنه لفهم أوروبا في العصور الوسطى من منظور عربي أصيل.

[1] عبد الرحمان الحجي، مصدر سابق، ص 317.

خلاصة الفصل:

تناول الفصل الأول شخصية الطرطوشي ورحلته من حيث التعريف به ومسار تحركاته، حيث تبيّن أنه ينتمي إلى بيئة أندلسية متقدمة ساعدته على اكتساب ثقافة واسعة وقدرة على التواصل مع شعوب مختلفة، كما أظهرت الدراسة أن رحلته كانت على الأرجح رحلة واحدة متصلة، انطلق فيها من الأندلس نحو إيطاليا، ثم إلى أوروبا الوسطى والشمالية، قبل أن يعود عبر فرنسا وشمالي إسبانيا، وقد كشفت رحلته عن قيمة علمية كبيرة، إذ قدّم وصفًا دقيقًا للجغرافيا الطبيعية والبشرية، ودوّن ملاحظات عن الاقتصاد والعادات الاجتماعية، مما جعلها مصدرًا مهمًا اعتمد عليه الجغرافيون اللاحقون.

الفصل الثاني:

الدور الدبلوماسي والنتائج السياسية لرحلة الطرطوشي

تمهيد:

بعد الوقوف في الفصل الأول على شخصية إبراهيم الطرطوشي ومسار رحلته وقيمتها العلمية، يأتي هذا الفصل ليعالج جانبًا لا يقل أهمية، يتمثل في نشاطه الدبلوماسي وما نتج عنه من أبعاد سياسية وحضارية، فهذه الرحلة لم تكن مجرد انتقال جغرافي أو تسجيل للمشاهدات، بل حملت في طياتها نوعًا من التفاعل مع مراكز السلطة في أوروبا، تجلّى في لقاءاته مع بعض الحكام والشخصيات البارزة.

ويكتسب هذا الجانب أهمية خاصة لما يثيره من تساؤلات حول طبيعة دور الطرطوشي: هل كان مبعوثًا رسميًا يمثل الخلافة الأموية في الأندلس، أم رحّالة مثقفًا أدّى دورًا دبلوماسيًا غير مباشر بحكم موقعه ومعرفته؟ كما يطرح إشكالات تتعلق بمصادر هذه المعلومات، ومدى دقتها، واختلاف الروايات في تحديد أماكن وتواريخ اللقاءات.

ومن هذا المنطلق يسعى هذا الفصل إلى تحليل النشاط الدبلوماسي للطرطوشي، من خلال الوقوف على طبيعته ومصادره، ثم دراسة لقاءاته ومقابلاته مع الحكام، مع محاولة ترتيبها زمنيًا وجغرافيًا، بهدف تقديم صورة أقرب إلى الواقع عن هذا الجانب من رحلته.

المبحث الاول: النشاط الدبلوماسي للطرطوشي

يُعدّ النشاط الدبلوماسي لإبراهيم بن يعقوب الطرطوشي من أكثر الجوانب إثارة للجدل في سيرته، وذلك بسبب غموض المصادر وتضارب الروايات حول طبيعة دوره الحقيقي، فبينما تشير بعض الدراسات إلى أنه أُوفد في مهام رسمية من قبل الخلافة الأموية في الأندلس، يرى آخرون أنه لم يكن دبلوماسيًا بالمعنى الدقيق، بل رحّالة مثقفًا أتاح له موقعه ومعرفته أن يؤدي أدوارًا شبه دبلوماسية.

المطلب الأول: طبيعة النشاط الدبلوماسي للطرطوشي

ليس من السهل الجزم بطبيعة الدور الدبلوماسي الذي اضطلع به إبراهيم الطرطوشي خلال رحلته، إذ اختلفت آراء الباحثين حول ما إذا كان مبعوثًا رسميًا للدولة الأموية في الأندلس، أم مجرد رحّالة واسع الاطلاع تزامنت رحلاته مع نشاط دبلوماسي قائم.[1]

يرى بعض الباحثين أنّ الطرطوشي قد يكون عُيّن عضوًا في سفارة أرسلها الخليفة الناصر إلى الإمبراطور أوتو الأول سنة 344هـ/955م، والتي كان يرأسها المستعرب "ريثموندو" (ربيع بن زيد)، الذي أصبح لاحقًا أسقف إلبيرة، غير أن هذا الرأي يواجه عدة إشكالات جوهرية تُضعف احتماله[2].

أول هذه الإشكالات يتمثل في اختلاف مكان اللقاء مع الإمبراطور؛ إذ تذكر المصادر أن ريثموندو التقى أوتو في فرانكفورت، بينما تشير روايات الطرطوشي – كما ينقلها البكري – إلى أنه قابله في ماغديبورغ أو مرزبرغ، وهذا التباين الجغرافي يوحي بأن اللقاءين لم يكونا ضمن بعثة واحدة.[3]

[1] ابو عبيدعبد الله البكري الاندلسي، مصدر سابق، ص 925.

[2] عبد الرحمان الحجي، مرجع سابق، ص 320.

[3] اغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي، مرجع سابق، ص 80.

كما أن الفارق الزمني يُعدّ قرينة أخرى مهمة؛ فلقاء ريثموندو بالإمبراطور كان سنة 345هـ/956م، في حين أن لقاء الطرطوشي يبدو أنه حدث بعد ذلك بسنوات، مما يُضعف فرضية مشاركته في نفس السفارة.

ومن جهة أخرى، لو كان الطرطوشي عضوًا رسميًا في تلك البعثة، لكان من المتوقع أن يعود مع الوفد، أو على الأقل أن تُسجَّل مشاركته في المصادر الإسلامية أو النصرانية، وهو ما لا نجد له أثرًا واضحًا، كما أن طبيعة رحلته الطويلة، التي شملت مناطق متعددة وبعيدة، لا تتوافق مع مهام الوفود الدبلوماسية التي تكون عادة محدودة الوجهة والمدة.[1]

ويُضاف إلى ذلك أن اتساع نطاق تنقلاته – من الأندلس إلى أوروبا الوسطى والشرقية – يدل على حرية حركة لا تتناسب مع مهمة رسمية مقيّدة بمسار معين، بل أقرب إلى رحالة مستقل يسعى للاستكشاف والمعرفة.

أما الرأي الثاني، فيذهب إلى أنه ربما شارك في نشاط دبلوماسي بشكل غير رسمي، إلى جانب نشاطه التجاري أو العلمي، مستفيدًا من معرفته باللغات، وربما بالسلافية، وهو ما قد يكون سهّل له التواصل مع الشعوب والحكام، إلا أن هذا الطرح أيضًا يفتقر إلى أدلة نصية صريحة تدعمه، كما أن المصادر لم تذكره بصفته مبعوثًا، وهو أمر كان من المرجّح توثيقه لو كان صحيحًا.[2]

في المقابل تبدو صورة الطرطوشي أقرب إلى نموذج "الرحالة العالم" في الحضارة الإسلامية، على غرار ابن حوقل وغيره، حيث يجمع بين حب الاستطلاع والمعرفة، وبين الاهتمام بالجغرافيا والعادات والاقتصاد، وقد يكون ما أتاح له مقابلة بعض الحكام هو مكانته الثقافية، وإجادته للغات، وانتماؤه إلى الأندلس التي كانت آنذاك مركزًا حضاريًا متقدمًا.

[1] عبد الرحمان الحجي، مصدر سابق، ص 321.

[2] نفسه، ص 322.

كما لا يُستبعد أن بعض الحكام الذين التقاهم رأوا فيه وسيطًا غير رسمي، فنقلوا عبره رسائل أو رغبات إلى الخليفة الأموي في قرطبة، سواء على سبيل المجاملة الدبلوماسية أو بدوافع سياسية غير مباشرة، وهذا النوع من "الدبلوماسية غير الرسمية" كان شائعًا في تلك العصور، خاصة عبر التجار والرحالة.[1]

وخلاصة القول فإن الأدلة المتوفرة لا تدعم اعتبار الطرطوشي دبلوماسيًا رسميًا، بل ترجّح كونه رحالة مثقفًا واسع الاطلاع، أتاح له علمه ولغاته ومكانته الاجتماعية أن يؤدي أدوارًا شبه دبلوماسية في بعض المواقف، دون أن يكون مكلّفًا بذلك بشكل مباشر من السلطة.

المطلب الثاني: مصادر معلومات النشاط الدبلوماسي

تُعدّ مسألة المصادر من أهم الإشكالات المرتبطة برحلة إبراهيم الطرطوشي، خاصة وأن النص الأصلي لرحلته مفقود، ولم يصلنا منها إلا مقتطفات متناثرة حفظها جغرافيون لاحقون، ولذلك فإن إعادة بناء نشاطه، سواء الدبلوماسي أو الرحلي، تعتمد أساسًا على هذه النقول غير المباشرة، مما يفرض قدرًا من الحذر في التعامل معها[2].

فالمصدر الأساسي – بل الوحيد – لمعلوماتنا عن الطرطوشي هو رحلته نفسها، التي لم يبقَ منها إلا أجزاء اقتبسها بعض الجغرافيين، ويُعدّ العذري (ت 478هـ/1085م) من أوائل من نقل عنه، ويبدو أنه المصدر الأقدم والأقرب زمنًا، مما يمنح روايته درجة أعلى من الموثوقية مقارنة بغيره، ثم جاء بعده البكري وغيره، فنقلوا بدورهم أجزاء من هذه الرحلة، إما مباشرة أو عبر وسائط.

وقد تناول عدد من الجغرافيين خبر لقاء الطرطوشي بملك الروم (الإمبراطور)، لكن هذه الروايات تختلف في التفاصيل:

---

[1] آمنة سليمان البدوي، مرجع سابق، ص 45.

[2] شمس الدين الكيلاني، رحلة الطرطوشي إلى إمبراطورية أوتو الأكبر، نشر في مجلة الحياة يوم 30-08-2008، على الرابط التالي: https://www.sauress.com/alhayat/31396295

- فالقزويني نقل الخبر عن الطرطوشي عبر العذري، دون أن يذكر اسم الملك أو زمان ومكان اللقاء.
- أما الحميري، فقد أورد الرواية كذلك دون تحديد الاسم أو المكان، لكنه ذكر تاريخًا للقاء هو سنة 305هـ/917م، وهو تاريخ يُرجَّح أنه غير صحيح.

ويظهر خطأ هذا التاريخ من خلال عدة قرائن؛ إذ إن العذري – وهو الأقدم – لم يذكر هذا التاريخ، كما أن البكري يربط لقاء الطرطوشي بالإمبراطور أوتو الأول بفترة تقارب سنة 354هـ/965م، وحتى لو افترضنا أن لقاء "ملك الروم" يختلف عن لقاء أوتو، فمن غير المعقول أن يكون الفارق الزمني كبيرًا إلى حد نصف قرن، لأن ذلك يستلزم عمرًا غير منطقي للطرطوشي وقدرة على القيام برحلة طويلة بعد هذه المدة.[1]

ومن هنا يُرجّح أن يكون تاريخ الحميري نتيجة تصحيف أو خطأ في النسخ، وهو أمر شائع في نقل المخطوطات، سواء بسبب تحريف الأرقام أو سوء قراءة النص، لذلك يميل الباحثون إلى اعتماد رواية العذري بوصفها الأقرب إلى الأصل، والأكثر دقة في تحديد زمان ومكان اللقاء، حتى وإن لم تُسمِّ الإمبراطور صراحة.[2]

أما البكري، فيُعدّ من أهم من نقل عن الطرطوشي، وقد أشار إلى الإمبراطور أوتو في موضعين:

- الأول في سياق حديثه عن "مدينة النساء."
- والثاني عند حديثه عن ملك البلغار.

وهاتان الإشارتان وردتا في سياق واحد ضمن بعض المخطوطات، مثل مخطوطة نور عثمانية، مما يدل على أن البكري كان ينقل نصوصًا مترابطة من الرحلة، وإن لم تصلنا كاملة. وبناءً على ذلك يمكن القول إن دراسة رحلة الطرطوشي تعتمد على نصوص مجتزأة ومتداخلة، نُقلت عبر سلسلة من الجغرافيين، وهو ما يفسّر وجود بعض التناقضات أو الاختلافات في

[1] عبد الرحمان الحجي، مرجع سابق، ص 330.

[2] محمود وسن ابراهيم حسين، مرجع سابق، ص 120.

التواريخ والتفاصيل، ومع ذلك فإن هذه النقول – رغم نقصها – تظل ذات قيمة كبيرة، خاصة إذا ما قورنت ببعضها البعض، وأُخضعت للتحليل النقدي الذي يميّز بين الروايات الأقدم والأقرب إلى الأصل، وتلك التي شابها التحريف أو الإضافة.

وفي ضوء هذا، تبدو رواية العذري الأساس الأكثر اعتمادًا، يليها ما نقله البكري، بينما ينبغي التعامل بحذر مع الروايات المتأخرة، مثل رواية الحميري، خاصة في ما يتعلق بالتواريخ والتفاصيل الدقيقة.[1]

المبحث الثاني :لقاءات ومقابلات الطرطوشي

في مسار رحلته الطويلة عبر أوروبا، لم يكتفِ إبراهيم الطرطوشي بمراقبة المدن وتسجيل أحوال الشعوب، بل تجاوز ذلك إلى الاقتراب من دوائر الحكم ومجالس السلطة، فقد أتاح له تنقله الواسع، وثقافته، وقدرته على التواصل، أن يحظى بلقاءات مع شخصيات بارزة في العالم الأوروبي، كان لها أثر واضح في رسم صورة أعمق عن تلك المجتمعات، وبين روما وألمانيا، تتكشف هذه اللقاءات بوصفها لحظات مفصلية في رحلته، لا تعكس فقط مكانته، بل تكشف أيضًا عن طبيعة العلاقات والتواصل بين الأندلس وأوروبا في ذلك العصر.

[1] شمس الدين الكيلاني، رحلة الطرطوشي إلى إمبراطورية أوتو الأكبر،مرجع سابق.

المطلب الأول: الشخصيات التي قابلها

تُشير بعض الروايات إلى أنّ الخليفة الأموي الحكم المستنصر أولى اهتمامًا كبيرًا باستكشاف أوروبا والتعرّف على أوضاعها، فكلف أحد رجاله، وهو إبراهيم بن يعقوب الإسرائيلي الطرطوشي، بالقيام بعدة مهام ذات طابع دبلوماسي واستطلاعي، وتذكر هذه الروايات أن أولى سفاراته كانت سنة 350هـ/961م إلى روما، حيث التقى بالبابا يوحنا الثاني عشر، في إطار تواصل غير مباشر بين الأندلس والسلطة الدينية في الغرب اللاتيني[1].

ثم تلت هذه المهمة رحلتان أخريان إلى الإمبراطور الألماني أوتو الأول، إحداهما يُرجّح أنها كانت حوالي سنة 354هـ/965م، والأخرى في وقت لاحق يُقال إنه يقارب 362هـ/972م، وإن كان هذا التاريخ الأخير محل نقاش بين الباحثين[2].

وقد دفع هذا الانفتاح السياسي والدبلوماسي الأندلسيين إلى الاهتمام بمعرفة أحوال أوروبا وشعوبها، ففي هذا السياق أرسل الأمير عبد الرحمن الثاني سفارة إلى بلاد النورمان سنة 845م، برئاسة يحيى الغزال، الذي نقل لنا أوصافًا مبكرة عن تلك الشعوب قبل انتشار المسيحية بينهم.

وفي امتداد لهذا التوجه، وضمن سياسة الاستطلاع والتواصل، يُرجَّح أن الخليفة الأموي في الأندلس أرسل إبراهيم بن يعقوب الطرطوشي سنة 354هـ/965م في مهمة إلى الإمبراطور أوتو في ماغديبورغ، غير أن هذه المهمة – كما تشير الدراسات – لا يمكن الجزم بأنها كانت سفارة رسمية بالمعنى الدقيق، بل ربما كانت ذات طابع شبه دبلوماسي، تداخل فيها البعد السياسي مع فضول الرحلة وحب الاستطلاع[3].

---

[1] عبد الرحمان الحجي، مصدر سابق، ص 315.

[2] محمد عبده حتاملة، العلاقات ما بين المسلمين ويهود الأندلس، https://2u.pw/LSLyeu

[3] شمس الدين الكيلاني، رحلة الطرطوشي إلى إمبراطورية أوتو الأكبر، نشر في مجلة الحياة يوم 30-08-2008، على الرابط التالي: https://www.sauress.com/alhayat/31396295

وفي خضمّ الجدل حول طبيعة نشاط إبراهيم الطرطوشي، يقف الباحث أمام مسألة معقّدة تتعلّق بتحديد عدد اللقاءات التي جمعته بحكام أوروبا، وبخاصة ما إذا كانت الروايات تشير إلى لقاء واحد أم إلى لقاءين مختلفين، فقد درج كثير من الدارسين على اعتبار أن ما أورده العذري وما نقله البكري لا يعدو أن يكون وصفًا واحدًا للقاء الطرطوشي بالإمبراطور أوتو الأول في ألمانيا، في حدود سنة 965م تقريبًا، غير أن التمحيص الدقيق في النصوص يكشف عن صورة أكثر تعقيدًا، بل وربما أكثر ثراء.

فعندما نتأمل نص العذري، نجد أنفسنا أمام مشهد مختلف تمامًا؛ إذ يروي أن الطرطوشي التقى "ملك الروم" في مدينة روما نفسها، وذلك في حدود سنة 961م، ولم يكن الحديث في هذا اللقاء عن شؤون سياسية أو تحالفات، بل عن أمر ديني بحت، يتمثل في رغبة هذا الملك في الحصول على رفات قديس موجود في الأندلس، هذا الطلب، بطبيعته ومضمونه، يشي بجو كنسي واضح، ويقود الذهن مباشرة إلى شخصية البابا، لا إلى الإمبراطور.

وفي المقابل، يقدّم البكري رواية أخرى أكثر تحديدًا، إذ يذكر اسم أوتو صراحة، ويضع اللقاء في قلب ألمانيا، في ماغديبورغ أو مرزبرغ، هنا يتغيّر المشهد: لا روما، ولا طلبات ذات طابع ديني خاص، بل سياق سياسي وجغرافي أوسع، يتناسب مع شخصية إمبراطور يسعى إلى تثبيت نفوذه في أوروبا.[1]

من هنا، يبدأ التباين بين الروايتين في الظهور بوضوح: اختلاف في المكان، واختلاف في الزمان، واختلاف في طبيعة الحوار، بل وحتى في هوية الطرف المقابل، وهذا ما يجعل من الصعب قبول فكرة أن النصين يتحدثان عن لقاء واحد فقط، بل يبدو أقرب إلى المنطق أن الطرطوشي، في رحلته الواسعة، قد حظي بفرصة نادرة للقاء شخصيتين بارزتين: البابا في روما، ثم الإمبراطور أوتو في ألمانيا.[2]

[1] شمس الدين الكيلاني، رحلة الطرطوشي إلى إمبراطورية أوتو الأكبر، مرجع سابق.

[2] اغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي، مرجع سابق، ص 81.

ولا ينبغي أن يُربكنا استعمال مصطلح "الروم" في النصين، إذ كان هذا اللفظ في الكتابات العربية الوسيطة واسع الدلالة، يُطلق أحيانًا على البيزنطيين، وأحيانًا على سكان روما، بل وقد يمتد ليشمل بعض شعوب أوروبا الغربية، كما أن استعمال لفظ "ملك" لا يمنع أن يكون المقصود به البابا، لأن المؤرخين المسلمين لم يكونوا دائمًا ملتزمين بالدقة الاصطلاحية في وصف مناصب غير المسلمين.[1]

وهكذا، تتبدّى لنا رحلة الطرطوشي لا كرحلة عادية، بل كمسار غني بالتجارب واللقاءات، بلغ فيها رحّالة أندلسي حدود المراكز الكبرى في أوروبا، سياسيًا ودينيًا، وبين روما وألمانيا، تتسع الصورة، ويتحوّل الطرطوشي من مجرد ناقل أخبار إلى شاهد على تداخل العوالم، وعلى لحظة تاريخية كانت فيها طرق المعرفة والتواصل أكثر تشعّبًا مما قد نتصور.

أمّا فيما يتعلّق بالشخص الذي قابله الطرطوشي، فإنّ المعطيات المتوفّرة تُرجّح بوضوح أنّه كان أحد حكّام ألمانيا، إذ إنّ اللقاء – كما تفيده الروايات – جرى داخل الأراضي الألمانية، كما أنّ الاسم الوارد في النصوص، بصيغته القريبة من "أوتو"، يدعم هذا الاتجاه، غير أنّ الإشكال لا يقف عند هذا الحد، بل يمتدّ إلى تحديد أيّ "أوتو" من بين الحكّام الألمان الثلاثة الذين حملوا هذا الاسم هو المقصود[2].

ورغم أن النصوص لا تقدّم تحديدًا صريحًا، فإنّ أغلب الدارسين يميلون إلى اعتبار أن المقصود هو أوتو الأول الكبير، وذلك لعدة أسباب متداخلة، أولها أنّ التواريخ المحتملة للقاء، سواء سنة 354هـ/965م أو حتى 362هـ/972م، تقع كلّها ضمن فترة حكمه (936–973م)، مما يجعل هذا الترجيح منسجمًا زمنيًا مع الروايات، كما أنّ هذه الفترة نفسها تتقاطع مع التاريخ المقترح للقاء الطرطوشي مع البابا في روما سنة 350هـ/961م، وهو ما يعزّز فرضية أن

[1] ابو عبيدعبد الله البكري الاندلسي، مصدر سابق، ص 929..

[2] اغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي، مرجع سابق، ص 85.

الرحلة الأوروبية للطرطوشي جرت في سياق زمني واحد، بلغ فيه مراكز السلطة الكبرى في أوروبا.

وعند العودة إلى نص البكري، يتبيّن أن الإشارتين اللتين يذكر فيهما اسم "أوتو" – سواء في سياق الحديث عن مدينة النساء أو عن البلغار – لا تبدوان منفصلتين، بل توحيان بأنهما تعودان إلى لقاء واحد مع الإمبراطور نفسه، أُعيد توظيفه في أكثر من موضع داخل النص.

غير أنّ هذا الاستنتاج لا يخلو من إشكالات، أبرزها مشكلتان أساسيتان ظلّتا محلّ نقاش بين الباحثين[1]:

- مكان اللقاء :هل تمّ في ماغديبورغ، أم في مرزبرغ، أم في موضع آخر داخل المجال الألماني؟
- تاريخ اللقاء :هل كان أقرب إلى سنة 965م، أم أنه تأخر إلى أوائل السبعينيات من القرن العاشر؟

هذه التباينات لا تُضعف فقط دقّة الروايات، بل تكشف أيضًا طبيعة النصوص التي وصلتنا عن الطرطوشي، بوصفها نصوصًا منقولة ومجزأة، خضعت لعمليات اختصار وإعادة صياغة عبر الجغرافيين اللاحقين، ومع ذلك يبقى الاتفاق العام على شخصية أوتو الأول مؤشرًا قويًا على أن الطرطوشي قد وصل فعلًا إلى بلاط الإمبراطورية الجرمانية، وأنه كان شاهدًا – ولو بشكل عابر – على أحد أهم مراكز السلطة في أوروبا في القرن العاشر الميلادي.

أن لقاء إبراهيم الطرطوشي مع البابا يوحنا الثاني عشر قد تمّ في روما سنة 350هـ/961م، فإن هذا الحدث يكتسب أهمية خاصة في فهم مسار رحلته الأوروبية وطبيعة اتصالاته، فقد كان هذا اللقاء، في جوهره، ذا طابع ديني واضح، حيث ارتبط بطلب البابا الحصول على

[1] آمنة سليمان البدوي، مرجع سابق، ص 88.

رفات قديس من الأندلس، وهو ما يعكس اهتمام الكنيسة بمثل هذه الرموز الروحية، ويؤكد في الوقت نفسه مكانة الأندلس في الوعي الديني الأوروبي آنذاك[1].

ومن خلال هذا اللقاء، يظهر الطرطوشي لا بوصفه مجرد رحّالة عابر، بل كشخص قادر على الوصول إلى أعلى سلطة دينية في الغرب اللاتيني، ويُرجّح أن هذا الاتصال لم يكن رسميًا بالمعنى الدبلوماسي الصارم، بل جاء في إطار تفاعل شخصي أو شبه رسمي، سمحت به ثقافته، ومعرفته، وربما إتقانه لبعض اللغات، إضافة إلى انتمائه إلى بيئة حضارية متقدمة مثل الأندلس.

كما أن تحديد هذا اللقاء سنة 961م يفرض ترتيبًا منطقيًا لبقية أحداث رحلته؛ إذ لا يبدو معقولًا أن يكون قد ظلّ في أوروبا سنوات طويلة بعد هذا التاريخ دون أن تذكر المصادر ذلك بوضوح، لذلك يُفهم أن لقاءه بالبابا كان محطة أساسية ضمن رحلة متصلة، أعقبتها تنقلاته في بقية أنحاء أوروبا[2].

ويكشف هذا اللقاء أيضًا عن جانب مهم من طبيعة العلاقات غير المباشرة بين العالم الإسلامي وأوروبا المسيحية، حيث لم تقتصر على الحروب والصراعات، بل شملت أيضًا أشكالًا من التواصل الثقافي والديني، حتى وإن جاءت في سياق فردي أو غير رسمي، وهكذا فإن لقاء الطرطوشي بالبابا يوحنا الثاني عشر يمثل لحظة فريدة تُظهر تداخل العوالم، وتفتح نافذة على نوع من العلاقات التي غالبًا ما تغيب عن السرديات التقليدية للتاريخ الوسيط.[3]

[1] خليل ابراهيم السامرائي، واخرون، كتاب تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2000، ص 339.

[2] احمد بن عمر بن أنس العذري، نصوص عن الاندلس، معهد الدراسات الاسلامية، اسابنيا، 2013، ص 8.

[3] شمس الدين الكيلاني، رحلة الطرطوشي إلى إمبراطورية أوتو الأكبر، مرجع سابق

المطلب الثاني: أماكن مقابلاته وتواريخها

قبل الخوض في تحديد مكان لقاء الطرطوشي بالإمبراطور أوتو، يبدو من المفيد محاولة إعادة رسم الطريق الذي سلكه في رحلته، غير أنّ هذه المهمة ليست سهلة، إذ لا تتوفر معلومات دقيقة عن مسار رحلته الكامل، ولا عن تواريخ انطلاقه وعودته، ولا عن مدة إقامته في كل بلد، ومع ذلك فإن محاولة تتبّع هذا المسار – اعتمادًا على المدن التي ذكرها، وما حفظته كتب الجغرافيين، وما توصل إليه بعض الباحثين – قد تساعد في إضاءة عدد من القضايا، وعلى رأسها زمان ومكان لقاءاته.

إذا أخذنا بعين الاعتبار أن لقاءه مع البابا يوحنا الثاني عشر في روما تم سنة 350هـ/961م، فمن المعقول أن نفترض أنه غادر الأندلس في أواخر عهد الخليفة الناصر، وربما انطلق بحرًا من أحد الموانئ الشرقية، مثل المرية، متجهًا إلى سواحل شمالي البحر المتوسط، وقد يكون مرّ ببرشلونة، أو أبحر مباشرة إلى مرسيليا، ومنها إلى جنوة، قبل أن يتوجه برًّا إلى روما حيث تمّ لقاؤه بالبابا[1].

بعد ذلك يُرجّح أنه واصل رحلته نحو الشرق أو الشمال الشرقي، فعبر البحر الأدرياتيكي، وربما دخل أراضي السلاف عبر مناطق البلقان، أو سلك طريقًا أقرب إلى البندقية، ومن هناك اتجه إلى بلاد المجر، ثم إلى بوهيميا، حيث زار مدينة براغ، التي وصفها وصفًا دقيقًا.

ثم تابع طريقه شمالًا وشرقًا، فمرّ ببعض مناطق بولندا، وربما زار كراكوف، قبل أن يتجه إلى شمالي ألمانيا، حيث وصل إلى شفيرين وشلسفيغ، وهي مناطق قريبة من بحر البلطيق، وبعد هذه الجولة، يبدو أنه عاد جنوبًا نحو ماغديبورغ، حيث التقى بالإمبراطور أوتو الأول[2].

[1] احمد بن عمر بن أنس العذري، مرجع سابق، ص 10.

[2] عبد الرحمان الحجي، مصدر سابق، ص 356.

ومن هناك، واصل رحلته عبر مدن ألمانية أخرى، مثل بادربورن وربما مرزبرغ، ثم عبر نحو مناطق الراين، مرورًا بماينز وفرانكفورت وفولدا، قبل أن يتجه غربًا إلى فرنسا، حيث مرّ بمدن مثل فردان وروان، وبعد ذلك اجتاز جبال البرانس إلى شمالي إسبانيا، حيث يُحتمل أنه أقام مدة من الزمن، قبل أن يعود أخيرًا إلى الأندلس، ويصل إلى قرطبة في حدود سنة 356هـ/967م تقريبًا[1].

وعند عودته، يُرجّح أنه دوّن مشاهداته في رحلته، مقدّمًا وصفًا غنيًا للجغرافيا الطبيعية والبشرية لتلك البلاد، التي كانت لا تزال مجهولة نسبيًا في العالم الإسلامي، ولم تقتصر كتاباته على وصف المدن والطرق والمسافات، بل شملت أيضًا ملاحظات عن الأحوال الاجتماعية والسياسية، إلى جانب إشارات إلى لقاءاته مع بعض الحكام.

وهكذا، فإن إعادة بناء هذا المسار – رغم طابعه الافتراضي – تمنحنا تصورًا متماسكًا لرحلة الطرطوشي، وتساعد في فهم سياق تحركاته، وتُمهّد لتحديد أكثر دقة لمواقع وأزمنة لقاءاته، وعلى رأسها لقاؤه بالإمبراطور أوتو الأول[2].

يمكن إعادة رسم مسار رحلة إبراهيم الطرطوشي على النحو الآتي، اعتمادًا على المدن التي ورد ذكرها وتسلسلها الجغرافي:

- الانطلاق من الأندلس، على الأرجح من المرية (أو ميناء أندلسي شرقي آخر)، مرورًا بـ برشلونة، ثم الإبحار إلى مرسيليا.
- من مرسيليا إلى جنوة عبر البحر المتوسط.
- من جنوة برًّا إلى روما، حيث التقى بالبابا يوحنا الثاني عشر.
- من روما إلى بلاد السلاف، إما عبر البحر الأدرياتيكي ثم البلقان (يوغسلافيا)، أو عبر الطريق الشمالي مرورًا بـ البندقية.

[1] ابو عبيدعبد الله البكري الاندلسي، مصدر سابق، ص 930..

[2] عبد الرحمان الحجي، مصدر سابق، ص 360.

- من هناك إلى هنغاريا (المجر)، ثم إلى تشيكوسلوفاكيا، حيث زار براغ.
- متابعة الرحلة نحو شرق ألمانيا، مع احتمال المرور بـ كراكوف في بولندا.
- ثم الاتجاه شمالًا داخل ألمانيا إلى شفيرين وشلسفيغ.
- بعد ذلك النزول جنوبًا إلى مدن ألمانية رئيسية، منها :ماغديبورغ (أو مرزبرغ)، ثم بادربورن، وزوست، وفولدا، وفرانكفورت، وماينز.
- من ماينز إلى فرنسا، مرورًا بـ فردان وروان.
- ثم عبور جبال البرانس إلى شمالي إسبانيا.
- وأخيرًا العودة إلى الأندلس، حيث وصل إلى قرطبة حوالي سنة 356هـ/967م.

يمثّل هذا المسار تصورًا متكاملًا لرحلة واسعة امتدت عبر قلب أوروبا، وربطت بين البحر المتوسط وأوروبا الوسطى والشمالية، قبل أن تنتهي بالعودة إلى الأندلس.

خلاصة الفصل

ركز الفصل الثاني على النشاط الدبلوماسي للطرطوشي ولقاءاته مع الحكام، حيث تبيّن أن هذا النشاط لا يمكن اعتباره رسميًا بشكل قاطع، بل يندرج ضمن إطار دبلوماسية غير مباشرة، سمحت له بها مكانته وثقافته ومعرفته باللغات، كما أظهرت الدراسة أنه التقى بشخصيات بارزة، مثل البابا يوحنا الثاني عشر في روما والإمبراطور أوتو الأول في ألمانيا، غير أن تحديد عدد هذه اللقاءات وتواريخها يظل محل نقاش بسبب اختلاف الروايات، وقد بيّنت هذه اللقاءات طبيعة التفاعل بين الأندلس وأوروبا، وكشفت عن دور الرحالة كوسيط حضاري ينقل المعرفة ويساهم في بناء جسور التواصل بين الشعوب.

الخاتمة

الخاتمة:

في ختام هذه الدراسة تتكشف رحلة إبراهيم الطرطوشي بوصفها أكثر من مجرد انتقال جغرافي بين الأقاليم، بل كمسار معرفي متكامل حمل في طياته رؤية مبكرة للعالم الأوروبي من منظور أندلسي، فقد خرج الطرطوشي من بيئة حضارية متقدمة، حاملاً فضوله العلمي وقدرته على الملاحظة، ليخترق فضاءات كانت لا تزال غامضة في الوعي الجغرافي الإسلامي، ويعود منها بصورة حيّة عن شعوبها وبلدانها.

ومن خلال تتبع أخباره، يتضح أن شخصيته لم تكن محصورة في إطار الرحالة التقليدي، بل اتسمت بمرونة جعلته يتحرك بين أدوار متعددة؛ فهو تارة شاهد وملاحظ، وتارة أخرى محاور يقترب من مراكز السلطة، دون أن يكون بالضرورة مبعوثًا رسميًا، وقد مكّنته هذه الخصوصية من لقاء شخصيات بارزة، مثل البابا يوحنا الثاني عشر والإمبراطور أوتو الأول، في سياق يعكس تداخل الرحلة بالدبلوماسية غير الرسمية.

كما أظهرت الدراسة أن الإشكاليات المرتبطة برحلته – سواء في تحديد مسارها أو طبيعة نشاطه أو عدد لقاءاته – تعود أساسًا إلى طبيعة المصادر التي وصلتنا، وهي مصادر مجتزأة ومنقولة، مما يستدعي التعامل معها بحذر نقدي، ورغم ذلك فإن إعادة تركيب خط رحلته بشكل تقريبي كشفت عن مسار واسع ومترابط، يبدأ من الأندلس ويمتد عبر إيطاليا وأوروبا الوسطى والشمالية، قبل أن ينتهي بالعودة إلى قرطبة.

ومن أهم النتائج التي يمكن استخلاصها:

- أن الطرطوشي يُعدّ من أوائل الرحالة العرب الذين قدّموا وصفًا مباشرًا نسبيًا لأوروبا الوسطى والشرقية.
- أن رحلته كانت في الغالب رحلة واحدة متصلة، وليست عدة رحلات منفصلة، وهو ما يفسّر ترابط ملاحظاته.

- أن لقاءه بالبابا يوحنا الثاني عشر في روما سبق لقاءه بالإمبراطور أوتو الأول، ويرجّح أن الفاصل الزمني بينهما كان قصيرًا نسبيًا.
- أن نشاطه الدبلوماسي لم يكن رسميًا بالمعنى الدقيق، بل يندرج ضمن ما يمكن تسميته بالدبلوماسية غير المباشرة أو الشخصية.
- أن المصادر التي نقلت رحلته – رغم أهميتها – تعاني من نقص وتباين، مما يفرض إعادة قراءتها قراءة نقدية.
- أن رحلته تمثل مصدرًا غنيًا في دراسة الجغرافيا والتاريخ الاجتماعي والاقتصادي لأوروبا في العصور الوسطى.

وفي ضوء هذه النتائج يمكن القول إن الطرطوشي لم يكن مجرد ناقل أخبار بل كان شاهدًا حضاريًا ساهم في بناء معرفة مبكرة عن أوروبا داخل العالم الإسلامي، لقد قدّم صورة تتجاوز الحدود الضيقة للجغرافيا، لتلامس طبيعة المجتمعات ونظمها وعلاقاتها، مما يجعل رحلته وثيقة فريدة تستحق مزيدًا من البحث والتحليل.

وهكذا، تبقى رحلة الطرطوشي مثالًا على دور الرحالة في مدّ جسور المعرفة بين الحضارات، وعلى قدرة الفرد – مهما كان موقعه – على أن يكون حلقة وصل بين عوالم متباعدة، يسجلها في زمنه، لتصبح لاحقًا جزءًا من الذاكرة التاريخية المشتركة للإنسانية.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1- المصادر:

-ابو عبيدعبد الله البكري الاندلسي، المسالك والممالك، دار اللغرب لااسلامي، 1992.

-ابي عبيد البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا، دار الارشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1968.

-احمد بن عمر بن أنس العذري، نصوص عن الاندلس، معهد الدراسات الاسلامية، اسابنيا، 2013.

-الحميري، أبو عبدالله محمد بن عبدالله ، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ،1974.

-عبد الرحمان الحجي، العلاقات الدبلوماسية الاندلسية مع اوربا الغربية خلال المدة الاموية، المجمع الثقافي ، ابو ظبي، 2004.

2- الكتب:

-اغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، تعرب: عثمان هاشم، لجنة التاأليف والترجمة والنشر، 1957.

-خليل ابراهيم السامرائي، واخرون، كتاب تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2000.

-زكي محمد حسن، الرحالة المسلون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي، لبنان، 1945.

-كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، عريب : صلاح الدين عثمان، جامعة الدول العربية لجنة التأليف و الترجمة و النشر، 1957.

-مؤنس حسين، تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1967.

3- الرسائل الجامعية:

-حازم غانم حسين، دور العلماء السياسي والاجتماعي في الاندلس عهد الطوائف والمرابطين، اطروحة ذكتوراه تخصص التراريخ الاسلامي، جامعة الموصل، 1995.

4- المجلات العلمية:

-البشير بوقاعدة، التواصل والمثاقفة بين النخب العلمية الاسلامية وأهل الذمة بندينة قرطبة لااندلسية خلال القرنين 4-5 هـ / 10-11م ، مجلة العبر للدراسات التاريخية والاثرية، المجلد 3، العدد 2، 2020.

-آمنة سليمان البدوي، الرحالة الاندلسيون والمغاربة ورحلاتهم من القرن 3هـ الى 9هـ تقص وعرض، مجلة دراسات، العلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد 41، العدد 02، 2014.

-راوية عبد الحميد شافع، منهج المستشرقة أاللمانية سيجريد هونكة فى الكتابة عن الحضارة أالندلسية .من خالل كتاب شمس العرب تسطع على الغرب ، مجلة العمارة والفنون، العدد 6.

-فتحي رضوان، الرحالة الأندلسي الطرطوشي، مجلة الاداب، العدد 20، العراق، 1976.

-محمود وسن ابراهيم ححسين، القزويني ومنهجه في كتابه آثار البلاد وأخبار العباد، مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة بغداد، العدد 211، العراق، 2014.

5- المواقع:

-القبس الكويتية، الرحّالة إبراهيم بن يعقوب.. التشيك تفاخروا به والعرب أغفلوه .. " ، على الموقع https://www.alqabas.com/

-تيسير خلف، الطرطوشي.. الرحالة الأندلسي في مجاهل الشمال الأوروبي قبل عام 1100، على الموقع https://urli.info/1m52M

-شمس الدين الكيلاني، رحلة الطرطوشي إلى إمبراطورية أوتو الأكبر، نشر في مجلة الحياة يوم 30-08-2008، على الرابط التالي: https://www.sauress.com/alhayat/31396295

-محمد عبده حتاملة، العلاقات ما بين المسلمين ويهود الأندلس، https://2u.pw/LSLyeu

الملاحق

الصورة رقم 1: توضح الطرطوشي الاسرائلي

المصدر: تيسير خلف، الطرطوشي.. الرحالة الأندلسي في مجاهل الشمال الأوروبي قبل عام 1100، على الموقع https://urli.info/1m52M

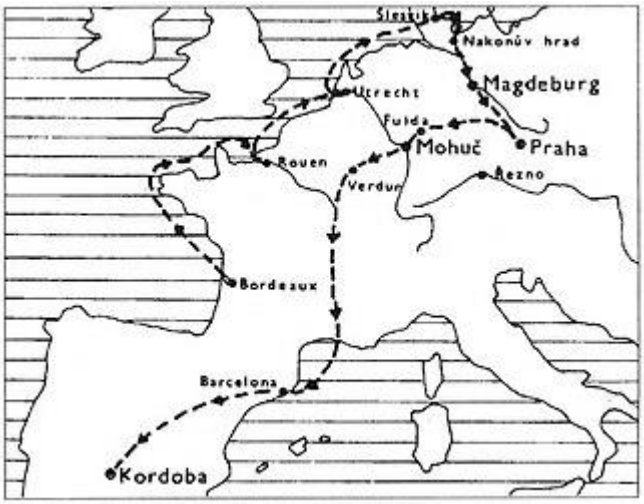

الصورة رقم 2: خريطة لرحلة الطرطوشي

المصدر: تيسير خلف، الطرطوشي.. الرحالة الأندلسي في مجاهل الشمال الأوروبي قبل عام 1100، على الموقع https://urli.info/1m52M

الفهرس

الفهرس:

مقدمة: .....أ

المبحث الأول :التعريف بالطرطوشي 8

المطلب الاول: الاسم، النسب: 9

المطلب الثاني: نشأته وموطنه 18

المبحث الثاني : رحلاته: 20

المطلب الأول: الاطار الزماني والمسار الجغرافي..... 20

المطلب الثاني: قيمة وأهمية رحلة الطرطوشي 34

خلاصة الفصل:..... 37

تمهيد: 39

المبحث الاول: النشاط الدبلوماسي للطرطوشي..... 40

المطلب الأول: طبيعة النشاط الدبلوماسي للطرطوشي..... 40

المطلب الثاني: مصادر معلومات النشاط الدبلوماسي 42

المبحث الثاني :لقاءات ومقابلات الطرطوشي..... 44

المطلب الأول: الشخصيات التي قابلها 45

المطلب الثاني: أماكن مقابلاته وتواريخها 50

خلاصة الفصل..... 53
الخاتمة:..... 55
قائمة المصادر والمراجع: 58
الملاحق:..... 61
الفهرس:..... 64